مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني المعاصر:
دراسة مقارنة بين الفكر التوراتي والسياسات الإسرائيلية[▽]

The Concept of Moral Superiority in Contemporary Zionist Discourse:
A Comparative Study of Biblical Thought and Israeli Policies

ا.م.د سعد حميد السعدي *
Asst. Prof. Dr. Saad Hamid Al-Saadi

المستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني المعاصر، والذي يتم من خلاله تقديم إسرائيل كدولة ديمقراطية تلتزم بقيم حقوق الإنسان في منطقة مضطربة بالصراعات، ويسعى البحث إلى تحليل هذا الادعاء ونقده من خلال مقارنته بالفكر التوراتي والسياسات الإسرائيلية الفعلية، خاصة تجاه الفلسطينيين، حيث تظهر تناقضات صارخة بين الخطاب الرسمي والممارسات على الأرض، تتمحور إشكالية البحث حول تحليل الادعاء بالتفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني، وتتبع جذوره في التفسيرات التوراتية، ومقارنة هذا الادعاء بالسياسات الإسرائيلية، ويسعى البحث للإجابة على سؤال جوهري: هل هذا الادعاء استمرار لفكر ديني أصيل أم أنه بناء أيديولوجي لخدمة مشروع سياسي؟، وتكمن أهمية البحث في الحاجة إلى تحليل نقدي للخطاب الصهيوني، وفهم العلاقة بين الدين والسياسة في السياق الإسرائيلي، وتفكيك أدوات المشروعية التي يستخدمها الاحتلال لتبرير سياساته، ويهدف البحث إلى تحليل الخلفيات الدينية لفكرة التفوق الأخلاقي، واستكشاف تطور الخطاب الصهيوني، ومقارنة الخطاب بالممارسة، والكشف عن أدوات الخطاب الصهيوني في بناء صورة إسرائيل ككيان أخلاقي متفوق، يعتمد البحث على منهجية تحليلية نقدية مقارنة، تشمل تحليل النصوص التوراتية والخطاب الصهيوني والسياسات الإسرائيلية، مع التركيز على قضايا مثل الاستيطان وحصار غزة والحروب وانتهاكات حقوق الإنسان، كما يستعرض البحث الدراسات السابقة التي تناولت العلاقة بين النصوص الدينية والسياسة الإسرائيلية، ويقارن بينها وبين الدراسة الحالية التي تركز على مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الصهيوني، القضية الفلسطينية، التفوق الاخلاقي، حقوق الانسان

Abstract

This research examines the concept of moral superiority in contemporary Zionist discourse, through which Israel is presented as a democratic state committed to the values of human rights in a conflict-ridden region. The research seeks to analyze and critique this claim by comparing it with Torahic thought and actual Israeli policies, especially towards the Palestinians, where stark contradictions appear between official discourse and practices on the ground .The research problem revolves around analyzing the claim of moral superiority in Zionist discourse, tracing its roots in Torahic interpretations, and comparing this claim with Israeli policies. The research seeks to answer a fundamental question: Is this claim a continuation of original religious thought or a modern ideological construct developed to serve a specific political project .?The research is necessary because it needs to critically analyze Zionist discourse, understand the relationship between religion and politics in the Israeli context, and deconstruct the legitimacy tools used by the occupation to justify its policies. The research aims to analyze the religious backgrounds of the idea of moral

▽ تاريخ التقديم : 2024/9/21 تاريخ القبول: 2024/10/25 تاريخ النشر: 2024/12/31
* كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية . dr.SaadHameedHameed@uomustansiriyah.edu.ig
"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

superiority, explore the development of Zionist discourse, compare discourse with practice, and reveal the tools of Zionist discourse in constructing Israel's image as a morally superior entity .The research relies on a comparative critical analytical methodology, including the analysis of Torahic texts, Zionist discourse, and Israeli policies, focusing on issues such as settlements, the Gaza blockade, wars, and human rights violations .The research reviews previous studies on the relationship between religious texts and Israeli politics. It compares them with the current study, which focuses on moral superiority in contemporary Zionist discourse.

Keywords: Zionist discourse, Palestinian issue, moral superiority, human rights

المقدمة:

يُعد مفهوم التفوق الأخلاقي إحدى الدعائم الرئيسية التي يقوم عليها الخطاب الصهيوني المعاصر، إذ يتم تقديم دولة إسرائيل للعالم باعتبارها واحة للديمقراطية وقيم حقوق الإنسان في منطقة مضطربة بالصراعات والعنف، يروج هذا الخطاب لفكرة أن إسرائيل، بحكم طبيعتها الدينية والتاريخية، تلتزم بمعايير أخلاقية أرفع من محيطها العربي والإسلامي، وأن سياساتها تستند إلى مبادئ أخلاقية راسخة، مستمدة، كما يُدعى، من جذورها التوراتية العريقة، هذا الادعاء يثير تساؤلات عميقة حول مدى صحة هذه الصورة، ومدى اتساقها مع الممارسات الواقعية لإسرائيل، لا سيما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والعلاقة مع الدول العربية، إذ تظهر السياسات الإسرائيلية، سواء فيما يتعلق بالاستيطان أو استخدام القوة أو التمييز ضد الفلسطينيين، تناقضات صارخة مع القيم التي يدعي الخطاب الرسمي الالتزام بها، ومع تزايد الاهتمام العالمي بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بات من الضروري تحليل الخطاب الصهيوني المعاصر، والكشف عن البنية الفكرية والأيديولوجية التي تدعم صورة إسرائيل ككيان أخلاقي متميز في محيطه الإقليمي، وهو ما يستدعي العودة إلى جذور هذا الخطاب، ولا سيما التفسيرات التوراتية للنصوص الدينية التي رسخت فكرة "شعب الله المختار"، وما يترتب عليها من مبررات أخلاقية لاحتكار الأرض والسلطة وحقوق تقرير المصير.

لقد تم استغلال النصوص الدينية اليهودية في مراحل مختلفة من بناء الخطاب الصهيوني، ليس فقط لإضفاء شرعية دينية على المشروع السياسي الصهيوني، بل أيضًا لتبرير السياسات التوسعية والعسكرية، فكما أن الفكر التوراتي القديم حمل في طياته تصورات عن تفوق الشعب اليهودي أخلاقيًا وروحيًا، فإن الخطاب الصهيوني الحديث أعاد توظيف هذه التصورات في سياقات سياسية جديدة، موظفًا القيم الدينية في خدمة أهداف استراتيجية معاصرة، إن دراسة مفهوم التفوق الأخلاقي في هذا السياق تتطلب فهمًا دقيقًا للعلاقة المعقدة بين الدين والسياسة في الفكر اليهودي، وتحليل كيفية تطور هذه العلاقة عبر القرون حتى وصلت إلى صورتها الراهنة في السياسات الإسرائيلية.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

اهمية البحث: تنبع أهمية البحث في هذا الموضوع من الحاجة الماسة إلى تحليل الخطاب الصهيوني من منظور نقدي وعلمي، بعيدًا عن الدعاية السياسية والأيديولوجية، سواء الصهيونية أو المناهضة لها، يتصل البحث بإعادة مساءلة الفرضيات الأخلاقية التي يرتكز عليها المشروع الصهيوني، مما يساهم في بناء فهم أكثر موضوعية لطبيعة الصراع العربي الإسرائيلي، كما يكشف البحث عن الطرق التي يتم بها توظيف النصوص الدينية في خدمة أهداف سياسية معاصرة، مما يقدم إضافة مهمة إلى الدراسات التي تبحث في العلاقة بين الدين والسياسة في السياق الإسرائيلي، وعلاوة على ذلك، فإن تحليل مفهوم التفوق الأخلاقي يساهم في تفكيك أدوات المشروعية التي يستخدمها الاحتلال الإسرائيلي لتبرير سياساته أمام المجتمع الدولي، وبالتالي فإن هذا البحث لا يخدم فقط الجانب الأكاديمي بل يتصل مباشرة بالجهود الرامية إلى دعم الحقوق الفلسطينية ومواجهة الخطابات المضللة على الساحة الدولية.

إشكالية البحث وتساؤلاته

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا البحث حول تحليل الادعاء بالتفوق الأخلاقي الذي يتبناه الخطاب الصهيوني المعاصر، وتتبع جذوره المحتملة في التفسيرات التوراتية، ثم مقارنة هذا الادعاء بالممارسات والسياسات الفعلية لدولة إسرائيل، والسؤال الجوهري الذي ينطلق منه البحث هو: هل يمثل هذا الادعاء استمرارية لفكر ديني أصيل في التراث اليهودي، أم أنه بناء أيديولوجي حديث تم تطويره لخدمة مشروع سياسي محدد؟ كما تثير الإشكالية تساؤلات فرعية أخرى مثل: إلى أي مدى تمثل النصوص التوراتية مصدرًا حقيقيًا لمبدأ التفوق الأخلاقي في الفكر الصهيوني؟ وهل يمكن الحديث عن قراءة انتقائية وموجهة للنصوص الدينية لتبرير الممارسات السياسية؟ وما هي الفجوات أو نقاط التوافق بين هذا الادعاء وبين السياسات الإسرائيلية الواقعية خاصة تجاه الفلسطينيين؟ وكيف يستخدم الخطاب الصهيوني المعاصر آليات لغوية ورمزية لإقناع المجتمع الدولي بمشروعية تفوقه الأخلاقي؟

وتكمن أهمية هذه التساؤلات في أنها تتجاوز النقد الأخلاقي المباشر للسياسات الإسرائيلية إلى تحليل البنية الفكرية والخطابية التي تقوم عليها هذه السياسات، مما يوفر فهماً أعمق لطبيعة المشروع الصهيوني نفسه، ويعيد طرح السؤال حول مدى شرعية استخدام الدين كمصدر لتبرير ممارسات سياسية قد تتناقض مع مبادئ العدالة والكرامة الإنسانية التي يُفترض أن الدين ذاته يحض عليها.

اهداف البحث

من خلال معالجة هذه الإشكالية، يهدف البحث إلى تحقيق عدة أهداف مترابطة، الهدف الأول هو تحليل الخلفيات الدينية لفكرة التفوق الأخلاقي، عبر دراسة النصوص التوراتية ذات العلاقة وتفسير مدى إمكانية استنباط فكرة تفوق الشعب اليهودي أخلاقيًا من هذه النصوص، أم أن هذه الفكرة هي نتاج قراءة معينة لنصوص يمكن أن تفهم بطرق متعددة، الهدف الثاني هو استكشاف تطور الخطاب الصهيوني حول التفوق الأخلاقي، منذ البدايات الأولى للحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر وحتى الخطاب

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الإسرائيلي المعاصر، مع تتبع كيفية تأطير هذا الادعاء أخلاقيًا في الأدبيات السياسية والإعلامية الصهيونية، الهدف الثالث يتمثل في مقارنة الخطاب بالممارسة، عبر تحليل السياسات الإسرائيلية الفعلية، خاصة في مجالات مثل الاستيطان، الحروب، التعامل مع حقوق الفلسطينيين، لنرى إلى أي مدى تعكس هذه السياسات ادعاءات التفوق الأخلاقي، والهدف الرابع هو الكشف عن أدوات الخطاب الصهيوني، سواء اللغوية أو الرمزية أو المؤسسية، التي تُستخدم في بناء صورة إسرائيل ككيان أخلاقي متفوق، ومدى تأثير هذه الأدوات على الرأي العام الدولي، وأخيرًا، يسعى البحث إلى تقديم دراسة نقدية مقارنة تسلط الضوء على الفجوة بين التصورات الدينية والتبريرات الأيديولوجية، وبين الممارسات السياسية الواقعية، مما يثري الدراسات النقدية في مجال العلوم السياسية والدراسات الدينية.

الدراسات السابقة:

قاسم ظاهر الغرايبة، "أثر النصوص الدينية 'التوراتية' في السياسة الإسرائيلية"، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، معهد بيت الحكمة، الأردن، 2019.

ملخص الدراسة:

تناولت الدراسة السابقة بعنوان "أثر النصوص الدينية 'التوراتية' في السياسة الإسرائيلية" للباحث قاسم ظاهر الغرايبة (2019) دور النصوص التوراتية في تشكيل الفكر السياسي الإسرائيلي، حيث افترضت أن النصوص المقدسة لليهود لعبت دورًا رئيسيًا في تأسيس التصورات السياسية التي أفضت إلى قيام دولة إسرائيل، وقد سعت الدراسة إلى الإجابة على عدة تساؤلات أساسية تمحورت حول العلاقة بين الديانة اليهودية وسلوك الدولة الإسرائيلية، ومدى استغلال الصهيونية للنصوص الدينية لتسويغ فكرة القومية اليهودية، استخدمت الدراسة المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي لرصد أبعاد الظاهرة قيد البحث، وخلصت إلى أن النصوص التوراتية لا تزال تشكل القاعدة الفكرية الأساسية للفكر السياسي الإسرائيلي، وأن العقيدة الدينية اليهودية ساهمت في الدمج بين الدين والقومية، مما جعل اليهود يعتبرون أنفسهم جماعة قومية ذات تراث ديني وقومي موحد، كما أبرزت الدراسة أن إسرائيل، بعد قيامها، اعتمدت في ثقافتها السياسية والأمنية على المبادئ التوراتية، وحولت تلك المبادئ إلى مشاريع قوانين وحروب مقدسة، تقوم على الطرد، والقتل، والسيطرة، باعتبارها تحقيقًا للنبوات التوراتية المتعلقة بأرض الميعاد[1].

أوجه الشبه والاختلاف بين الدراستين:

عند مقارنة الدراسة السابقة بالدراسة الحالية، نجد **أوجه شبه** واضحة، تتمثل في أن كلتيهما تركزان على تأثير النصوص الدينية اليهودية على السياسة والمجتمع الإسرائيلي، فكل من الدراستين تنطلقان من فرضية أن ثمة علاقة وثيقة بين النصوص التوراتية وبين السلوك السياسي الإسرائيلي المعاصر، كما أن كلتيهما تستخدمان المنهج التحليلي للنصوص والظواهر السياسية، مع اعتبار الخلفية الدينية عنصراً مركزياً في فهم السياسات الإسرائيلية.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

أما **أوجه الاختلاف**، فتتمثل في أن الدراسة السابقة ركزت بصورة أساسية على تحليل الدور العام للنصوص التوراتية في تشكيل السياسة الإسرائيلية عبر التاريخ وحتى العصر الحديث، مع اهتمام خاص بفكرة "أرض الميعاد" والممارسات الأمنية والعسكرية القائمة على هذه العقيدة، بينما تتناول الدراسة الحالية موضوعًا أكثر تحديدًا وتخصصًا، وهو "مفهوم التفوق الأخلاقي" في الخطاب الصهيوني المعاصر، وتسعى إلى مقارنة هذا المفهوم بجذوره التوراتية، مع تحليل مدى التوافق أو التناقض بين الخطاب الأخلاقي والممارسات الواقعية لدولة إسرائيل، بمعنى أن الدراسة الحالية تتعمق في جانب خطابي وفكري خاص هو ادعاء "التفوق الأخلاقي"، وليس فقط العلاقة العامة بين الدين والسياسة، كما أن الدراسة الحالية توظف بالإضافة إلى التحليل النصي والديني، منهجية مقارنة نقدية بين الخطاب والممارسة، وهو ما يوسع من إطار التحليل مقارنة بالدراسة السابقة التي ركزت على الجانب الديني التاريخي.

وبالتالي، يمكن القول إن الدراسة الحالية تبني على معطيات الدراسة السابقة ولكنها تتجه إلى مستوى تحليلي أكثر تخصصًا وتعقيدًا، بالجمع بين تحليل الأسس الدينية وتحليل الخطاب السياسي المعاصر وممارساته الواقعية، مع الانتباه إلى استخدام مفهوم أخلاقي مركزي في بناء الشرعية الإسرائيلية على المستوى الدولي.

منهجية البحث

يعتمد البحث على منهجية تحليلية نقدية مقارنة، في البداية، يتم اعتماد المنهج التحليلي النصي لدراسة نصوص مختارة من التوراة، خصوصًا تلك التي تتعلق بمفهوم "شعب الله المختار"، والتكليف الإلهي لليهود، والتعامل مع الآخرين، مع الاستناد إلى تفسيرات كل من المدارس التقليدية والحديثة داخل اليهودية، الهدف هنا هو تفكيك الأسس الدينية التي قد يُبنى عليها ادعاء التفوق الأخلاقي، بعد ذلك، يتم اعتماد المنهج التحليلي الخطابي لدراسة كيفية تشكل الخطاب الصهيوني حول هذه الفكرة، وذلك من خلال تحليل النصوص السياسية، والخطب الرسمية، والأدبيات الأكاديمية والإعلامية الإسرائيلية، للكشف عن آليات البناء الخطابي لفكرة التفوق الأخلاقي، كما يتم استخدام المنهج التحليلي الواقعي لدراسة السياسات والممارسات الإسرائيلية على الأرض، سواء عبر تحليل الوثائق الرسمية أو تقارير منظمات حقوق الإنسان الدولية والمحلية أو نتائج الدراسات الميدانية، مما يسمح بمقارنة مباشرة بين الادعاءات النظرية والواقع الفعلي.

سيعتمد البحث كذلك على منهج المقارنة النقدية بين النصوص الدينية والخطاب السياسي والممارسات الواقعية، بهدف الكشف عن التناقضات أو التوافقات الممكنة بين المستويات الثلاثة، سيتم التركيز بوجه خاص على قضايا مثل: الاستيطان في الضفة الغربية، حصار غزة، الحروب المتكررة، السياسات التمييزية داخل الخط الأخضر، وانتهاكات حقوق الإنسان، باعتبارها مجالات تظهر فيها الفجوة أو الاتساق بين الخطاب والممارسة بشكل جلي.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

أولاً_ الإطار النظري والمفاهيمي للتفوق الأخلاقي وجذوره التوراتية

تمهيد وتقسيم:

يتناول هذا المبحث الإطار النظري والمفاهيمي المتعلق بفكرة التفوق الأخلاقي، وذلك بوصفها إحدى الركائز التي تقوم عليها بعض التصورات السياسية والأيديولوجية الحديثة، ولا سيما ضمن الخطاب الصهيوني المعاصر، ونظرًا لما لهذا المفهوم من أبعاد فكرية ودينية متداخلة، يصبح من الضروري الوقوف على أساسياته النظرية، وفهم جذوره وتطوره ضمن سياقات متعددة، ينطلق هذا المبحث من تحديد الإطار العام لمفهوم التفوق الأخلاقي كما ظهر في الفكر السياسي والأخلاقي بشكل عام، قبل الانتقال إلى تتبع ملامحه في الخطاب الصهيوني الحديث، دون التوقف عند تفاصيله الخاصة.

كما يهدف إلى استكشاف الخلفيات الدينية المرتبطة بالنصوص التوراتية التي قد تكون أسست أو دعمت هذا التصور عبر مختلف الحقب، مع التركيز على موقع النص الديني في تشكيل البنية القيمية والسياسية لهذا الخطاب، بناء على ذلك، سيتم تناول المفاهيم الأساسية المتعلقة بالتفوق الأخلاقي، ثم التطرق إلى الجذور الدينية له، في إطار مقارن يُمهد للتحليل اللاحق في بقية فصول البحث.

1: مفهوم التفوق الأخلاقي في الفكر السياسي والأخلاقي والخطاب الصهيوني.

2: الجذور المحتملة لمفهوم التفوق الأخلاقي في الفكر التوراتي.

1_مفهوم التفوق الأخلاقي في الفكر السياسي والأخلاقي والخطاب الصهيوني

يعد مفهوم التفوق الأخلاقي من العناصر المركزية التي يتمحور حولها الخطاب الصهيوني المعاصر، حيث يتبنى الادعاء بأن دولة إسرائيل هي نموذج أخلاقي في سياق منطقة مضطربة بالصراعات والحروب، يُعتبر هذا الادعاء بمثابة جزء أساسي من السردية الصهيونية، ويُستخدم بشكل متكرر لتبرير السياسات والممارسات الإسرائيلية على الساحة الدولية والإقليمية، في هذا المطلب، سيتم تناول مفهوم التفوق الأخلاقي من جوانب متعددة: من خلال أولاً تعريف "الأخلاق" و"التفوق الأخلاقي" في سياق الفلسفة السياسية والأخلاقية، ثم تحليل كيف يظهر هذا المفهوم في الخطاب الصهيوني، سواء في التيارات الصهيونية الدينية أو العلمانية أو اليمينية أو اليسارية، وأخيرًا، سيتم استعراض نقد الأدبيات التي تناولت هذا المفهوم من مختلف الزوايا.

أ: تعريف "الأخلاق" و"التفوق الأخلاقي" في سياق الفلسفة السياسية والأخلاقية

في سياق الفلسفة السياسية والأخلاقية، تُعد "الأخلاق" مجموعة المبادئ التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات في ما يتعلق بما هو صواب وما هو خطأ، هذه المبادئ ليست فقط موجهة للأفعال الفردية، بل تشمل أيضًا التفاعلات بين الأفراد والمجتمعات، وهي تتضمن مفاهيم أساسية مثل العدالة، والمساواة، والحرية، والحق في الحياة، والكرامة الإنسانية، بشكل عام، تُعتبر الأخلاق إطارًا قيمياً يُحدد كيفية تصرف

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الأفراد والجماعات في إطار اجتماعي أو سياسي، ويُقصد بها مساعدة البشر على اتخاذ القرارات الصائبة بناءً على القيم الإنسانية المشتركة، في الفلسفة السياسية، يتم مناقشة الأخلاق في إطار القوانين السياسية والمؤسسات الحكومية، حيث يتم طرح الأسئلة حول كيفية توزيع السلطة، والموارد، والحقوق بين الأفراد والمجموعات داخل الدولة أو المجتمع[1].

أما بالنسبة لمفهوم "**التفوق الأخلاقي**"، فإنه يشير إلى الفكرة القائلة بأن مجموعة أو دولة ما تتمتع بمستوى أخلاقي أعلى من غيرها، يُستخدم هذا المفهوم للإشارة إلى الاعتقاد بأن هذه المجموعة أو الدولة لها الحق في فرض سياسات أو اتخاذ قرارات تُعتبر، وفقًا لوجهة نظرها، ضرورية أو مشروعة، حتى لو كانت تؤثر سلبًا على الآخرين، وهذا يشمل فكرة أن لهذه الدولة أو الجماعة معايير أخلاقية تفوق المعايير التي تلتزم بها المجتمعات الأخرى، مما يبرر سلوكياتها وأفعالها حتى في سياقات قد تُعد مثيرة للجدل دوليًا أو أخلاقيًا[2].

في إطار هذا البحث، يُمكننا التفريق بين نوعين من الأخلاق: **الأخلاق العالمية** و**الأخلاق الخاصة بالجماعة**.

1) **الأخلاق العالمية:** الأخلاق العالمية تُعنى بالقيم والمبادئ التي تُعتبر مشتركة بين جميع البشر، بغض النظر عن الدين أو العرق أو الثقافة أو الجنسية، هذا يشمل حقوق الإنسان الأساسية مثل الحق في الحياة، والحرية، والعدالة، والمساواة، الأخلاق العالمية تروج لفكرة أن جميع الأفراد يجب أن يُعاملوا بنفس القدر من الاحترام والكرامة، وأن هناك معايير أخلاقية عالمية يجب على جميع الدول الالتزام بها[3].

2) **الأخلاق الخاصة بالجماعة:** في المقابل، تركز **الأخلاق الخاصة بالجماعة** على المصالح والقيم الخاصة بمجموعة معينة أو أمة ما، مُعليًا من مكانتها ومصالحها على حساب الجماعات الأخرى، في هذا السياق، يمكن للمجموعة أو الأمة أن تبرر تصرفاتها استنادًا إلى ما تراه من قيم وأخلاقيات تُعتبر جوهرية لحمايتها أو وجودها، قد تتضمن هذه الرؤية تصورات حول الاستثنائية الأخلاقية التي تعتقد أن هذه الجماعة تتمتع بحقوق أو مميزات أخلاقية تميزها عن الآخرين[4].

بين الأخلاق العالمية والأخلاق الخاصة بالجماعة يوجد تداخلٌ معقد، ففي حين أن الأخلاق العالمية تحاول تحديد معايير أخلاقية تعكس حقوقًا ومبادئ عالمية، فإن الأخلاق الخاصة بالجماعة قد تضع حدودًا لتطبيق هذه المبادئ في سياقات تعارض مصالح الجماعة المعنية، وبالتالي، فإن مفهوم

[1] إبراهيم الدقائق، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مراجعة نقدية ورؤية مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص 300.

[2] رجاء جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الغد العربي، القاهرة، 1996، ص 220.

[3] السيد يسين، تشريح العقل الإسرائيلي، ط1، القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات، 2000، ص 25-90.

[4] محمد خليفة حسن، دراسة شخصية إسرائيلية في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، سلسلة دراسات دينية ونفسية، 24، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، 1998، ص 10-65.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

"التفوق الأخلاقي" في بعض الأحيان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأخلاق الخاصة بالجماعة، حيث يُستخدم لتبرير التصرفات أو السياسات التي تميز هذه الجماعة عن الآخرين، حتى وإن كانت هذه التصرفات قد تتناقض مع المعايير الأخلاقية العالمية[1].

في سياق الخطاب الصهيوني المعاصر، يتم توظيف **التفوق الأخلاقي** على أنه مبرر أساسي للسياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين والشرق الأوسط، إذ يتم تقديم إسرائيل كدولة "أخلاقية"، في حين يُنظر إلى دول المنطقة الأخرى على أنها غير ديمقراطية وغير أخلاقية، ومع ذلك، يتطلب تحليل هذا المفهوم فحصًا دقيقًا للممارسات الفعلية والإيديولوجيات التي تقوم عليها هذه التصورات.

ب_: تحديد وتحليل مفهوم "التفوق الأخلاقي" كما يظهر في أدبيات وخطابات التيارات الصهيونية المختلفة (الدينية، العلمانية، اليمينية، اليسارية).

مفهوم "**التفوق الأخلاقي** "هو أحد الركائز الأساسية في الخطاب الصهيوني المعاصر، حيث يظهر بطرق مختلفة تتناسب مع الأيديولوجيات والاتجاهات السياسية والدينية المتنوعة داخل الحركة الصهيونية، يختلف تفسير هذا المفهوم بشكل كبير بين التيارات الصهيونية الدينية والعلمانية، واليمينية، واليسارية، حيث يتشكل كل خطاب من منظور خاص حول ما يعنيه التفوق الأخلاقي وما هي مبرراته، يُستعمل التفوق الأخلاقي في هذه السياقات لتبرير السياسات والممارسات الإسرائيلية على المستويات المحلية والدولية.

1) **التيار الصهيوني الديني:** في هذا التيار، يعتبر التفوق الأخلاقي جزءًا من الإيمان العميق في الوعد الإلهي لشعب إسرائيل، وفقًا لهذا المفهوم، يُعتقد أن اليهود قد اختيروا من قبل الله للعيش في "الأرض المقدسة"، وبالتالي لهم الحق الحصري في هذه الأرض، هذا الاعتقاد يفسر بشكل مباشر التفوق الأخلاقي باعتباره مسؤولية أخلاقية أُعطيت لشعب مختار في سياق تاريخي وديني، هذا الخطاب يرتكز على **مصطلحات مثل "أرض الميعاد** "و"الشعب المختار" كتعريفات أساسية للمكانة الأخلاقية الفائقة التي يدعيها الشعب اليهودي[2].

يتبنى العديد من المفكرين الصهاينة الدينيين هذه الرؤية التي ترى أن التفوق الأخلاقي ليس مجرد ادعاء بل هو واجب ديني وشرعي، وهو جزء من التاريخ المقدس لشعب إسرائيل، وبناءً على هذا المفهوم، يتم تبرير السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين باعتبارها جزءًا من مسؤولية دينية تُلزمهم بالحفاظ على "أرضهم" و"شعبهم"، حتى وإن كان ذلك يعني مواجهة قوى معادية في المنطقة.

[1] تيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة محمود يوسف عدس، دار الزهراء للنشر، القاهرة، 1994م، ص 15-80.

[2] نهاد علي، الأصولية الدينية اليهودية وإسقاطاتها المحلية والإقليمية، مجلة قضايا إقليمية، عدد 25، مركز مدار للدراسات، بيروت، 2016، ص 55-100.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

2) **التيار الصهيوني العلماني:** في التيارات الصهيونية العلمانية، يظهر التفوق الأخلاقي من خلال تأكيد حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها في منطقة تتسم بالصراعات العميقة والمستمرة، يُستخدم هذا المفهوم لتبرير السياسات العسكرية الإسرائيلية، حيث يتم تصوير إسرائيل على أنها دولة ديمقراطية وحديثة تُحارب من أجل بقائها، يُسَوغ هذا الخطاب الحاجة إلى حماية "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط" من خلال الادعاء بأن إسرائيل تعمل على الحفاظ على القيم الإنسانية في بيئة مليئة بالأنظمة غير الديمقراطية[1]. **مصطلحات مثل "جيش الدفاع الأكثر أخلاقية في العالم** "تُستخدم بشكل متكرر في هذا السياق لتقديم صورة إيجابية للجيش الإسرائيلي وتبرير سياساته العسكرية، من خلال هذه العبارة، يُقدّم الجيش الإسرائيلي كرمز لالتزام إسرائيل بالقيم الإنسانية، حتى في ظل النزاع مع الفلسطينيين، كما تُستخدم عبارة "**النقاء الأخلاقي للسلاح** "للتأكيد على أن استخدام القوة من قبل إسرائيل يتم فقط في إطار الدفاع عن النفس وحماية المدنيين، مما يعكس التزامها بالقيم الأخلاقية العليا في جميع العمليات العسكرية.

3) **التيار الصهيوني اليميني:** في الخطاب الصهيوني اليميني، يُستغل مفهوم التفوق الأخلاقي لتعزيز فكرة **إسرائيل كدولة ديمقراطية ونموذج للحرية والحقوق المدنية** في منطقة يُنظر إليها على أنها مهددة، يُعتبر التفوق الأخلاقي في هذا السياق جزءًا من الهوية الوطنية الإسرائيلية، التي تقوم على فكرة أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي تتمتع بنظام ديمقراطي يسمح بالحرية السياسية وحقوق الإنسان[2].

من خلال هذا الخطاب، يتم التأكيد على **الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط** كجزء من تفوق إسرائيل الأخلاقي، مما يجعلها في نظر المؤيدين نموذجًا يحتذى به في مواجهة الأنظمة الاستبدادية في الدول العربية، يُستخدم هذا المفهوم أيضًا لتبرير السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، حيث يُقدّم الفلسطينيون باعتبارهم تهديدًا للأمن والوجود الإسرائيلي، وبالتالي يتم تقديم الإجراءات الأمنية والسياسات الاستيطانية كجزء من حماية "القيم الديمقراطية" للإسرائيليين.

4) **التيار الصهيوني اليساري:** في التيارات الصهيونية اليسارية، يُستخدم مفهوم التفوق الأخلاقي في سياق الدفاع عن **حقوق الأقليات داخل إسرائيل،** بما في ذلك الفلسطينيين الذين يعيشون في داخل حدود الدولة، يُركّز هذا الخطاب على **مبادئ العدالة الاجتماعية والتعددية الثقافية،** حيث يُعتبر التفوق الأخلاقي موجهًا نحو ضمان حقوق جميع المواطنين في إسرائيل، بما في ذلك العرب الفلسطينيين[3].

---

[1] عدنان عياش، دحض ادعاءات اليهود بحقهم في أرض فلسطين، مؤتمر فلسطين: حق وقضية، المؤتمر الدولي الثالث عشر، طرابلس، 2-3 ديسمبر 2016، ص 12-48.

[2] أحمد رأفت غضية، الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وحسم مصيرها، مجلة دراسات باحث، السنة الثالثة، ربيع 2005م، ص 22-60.

[3] عادل محمد العضايلة، القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام، عمان، دار الشروق، 2006، ص 40-85.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

رغم أن هذا الخطاب يعترف بالتحديات التي تواجه إسرائيل في التعامل مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، فإنه يسعى في الوقت نفسه إلى تقديم إسرائيل كدولة ذات التزام أخلاقي بالقيم الديمقراطية والحقوق المدنية، في هذا السياق، يتم التركيز على معاملة الفلسطينيين داخل إسرائيل بشكل عادل، وكذلك على ضرورة إيجاد حل عادل للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي، والذي يحترم حقوق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.

استعراض للمصطلحات ذات الصلة:

- **جيش الدفاع الأكثر أخلاقية في العالم:** هذه العبارة تمثل جزءًا من الخطاب الصهيوني الذي يُسعى من خلاله لتقديم الجيش الإسرائيلي كجيش يلتزم بأعلى المعايير الأخلاقية في العالم، حتى عندما يتورط في عمليات عسكرية ضد الفلسطينيين أو في الأراضي المحتلة، يُستخدم هذا المصطلح لتسويغ الهجمات العسكرية الإسرائيلية في إطار الدفاع عن النفس، مع التأكيد على أن الجيش الإسرائيلي يتبع قواعد الاشتباك التي تحاول تقليل الخسائر في الأرواح المدنية[1].
- **النقاء الأخلاقي للسلاح:** هذا المصطلح يُستخدم بشكل متكرر للدلالة على أن إسرائيل لا تستخدم قوتها العسكرية إلا في حالات الدفاع المشروع، وأنها تسعى دائمًا إلى اتخاذ إجراءات عسكرية تتسم بالقيم الأخلاقية العالية، هذا الخطاب يهدف إلى تبرير السياسة العسكرية الإسرائيلية في سياقات متهمة بأنها تتسبب في انتهاكات لحقوق الإنسان[2].
- **الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط:** يعد هذا الشعار أحد الأساليب الأكثر استخدامًا في الخطاب الصهيوني اليميني، حيث يُقدّم إسرائيل كأحد الأمثلة النادرة في منطقة الشرق الأوسط التي تُحترم فيها القيم الديمقراطية والحقوق المدنية، هذه العبارة تُستخدم بشكل خاص في المناقشات المتعلقة بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وتُوظّف لتبرير السياسات الأمنية والعسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين باعتبارها تدابير ضرورية لحماية "الديمقراطية"[3].

من خلال هذه التحليلات، يُمكن القول إن مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني المعاصر يُستخدم بشكل متنوع بين التيارات المختلفة، حيث تتباين تفسيرات هذا المفهوم واستخداماته لتبرير السياسات والممارسات الإسرائيلية.

ثالثاً: استعراض نقدي موجز للأدبيات التي تناولت هذا المفهوم بالنقد أو التأييد

لقد تناولت الأدبيات التي تتناول مفهوم **التفوق الأخلاقي** في الخطاب الصهيوني العديد من الزوايا

---

[1] أحمد عثمان، أسطورة الحقوق اليهودية في فلسطين: قراءة نقدية في مبررات وجود دولة إسرائيل، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 23، صيف 2014، ص 88-123.

[2] محمد شوقي عبد العال، السيادة على القدس: دراسة الدعاوي "الإسرائيلية" في ضوء أحكام القانون الدولي العام، القاهرة، جامعة الدول العربية، يوليو 2000، ص 20-70.

[3] ريان العباسي، الأطماع الإسرائيلية بمياه الفرات، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد 36، 2009، ص70.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

المختلفة، بين مؤيدين يرون فيه سمة تميز إسرائيل عن باقي دول المنطقة، ونقاد يعتبرونه مجرد **غطاء أيديولوجي** لتبرير السياسات الإسرائيلية القمعية، يبرز هذا المفهوم بشكل لافت في الأدبيات التي تتعامل مع **القيم الأخلاقية** لإسرائيل في سياق نزاعها المستمر مع الفلسطينيين، ويعكس تنوعًا في الرؤى والتفسيرات بناءً على الاتجاهات الأيديولوجية والسياسية للمفكرين.

أ. **التأييد لمفهوم التفوق الأخلاقي:** يرى بعض المفكرين والباحثين أن **التفوق الأخلاقي** يمثل سمة أساسية تميز إسرائيل عن غيرها من الدول في منطقة الشرق الأوسط، هؤلاء المفكرون يشيرون إلى أن **إسرائيل**، باعتبارها دولة ديمقراطية وحديثة، تعتبر الوحيدة في المنطقة التي تتبنى **قيم حقوق الإنسان** وتلتزم بها في نطاقها المحلي والدولي، وفي هذا السياق، يُستخدم **الجيش الإسرائيلي** كنموذج في تصرفاته الأخلاقية مقارنة بجيوش أخرى في المنطقة، التي تُتهم بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان، بعض الأدبيات تؤكد أن الجيش الإسرائيلي، على الرغم من اشتراكه في عمليات عسكرية معقدة وصعبة، يحاول تقليل الخسائر البشرية في صفوف المدنيين، وهو ما يُعتبر مؤشرًا على سلوكه الأخلاقي مقارنة مع بعض الجيوش الأخرى التي قد تفتقر إلى هذا النوع من الضوابط الأخلاقية[1].

كما يؤكد البعض أن **إسرائيل** تلتزم بتطبيق **مبادئ الديمقراطية** في مجالات متعددة، بما في ذلك الانتخابات الحرة، واحترام حقوق الأقليات، ووجود مؤسسات قانونية تشرف على سير العدالة، مقارنة ببعض الأنظمة الاستبدادية في المنطقة، بالنسبة لهذه الأدبيات، يُعد الخطاب الصهيوني حول التفوق الأخلاقي أداة للدفاع عن حق إسرائيل في الوجود وبقاءها في منطقة مليئة بالتهديدات والمخاطر.

ب. **النقد لمفهوم التفوق الأخلاقي:** على الجانب الآخر، **الأدبيات النقدية** ترى أن **مفهوم التفوق الأخلاقي** في الخطاب الصهيوني لا يعدو كونه **غطاء أيديولوجي** يستخدمه القادة الإسرائيليون لتبرير السياسات القمعية تجاه الفلسطينيين، هذه الأدبيات تشير إلى أن التناقض بين **القيم المعلنة في الخطاب الصهيوني** وبين **الممارسات الفعلية على الأرض** يُظهر أن هذه القيم ليست سوى أداة لتسويغ **السياسات العسكرية والأمنية** القاسية، على سبيل المثال، **سياسات الاستيطان** في الضفة الغربية و**فرض الحصار** على قطاع غزة، بالإضافة إلى **التمييز العنصري** ضد الفلسطينيين، يتم تبريرها أحيانًا تحت شعارات التفوق الأخلاقي، في حين أن هذه السياسات تتعارض مع **المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان**[2].

---

[1] محسن صالح، معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2011، ص90.

[2] دعاء الشريف، التوراة تثبت أن فلسطين أرض عربية، ترجمة لوثيقة زئيف هرتسوغ، الحقيقة من الأرض المقدسة، دار أبعاد، بيروت، 2016، ص100.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

بالإضافة إلى ذلك، تناولت بعض الأدبيات النقدية كيف أن مفهوم التفوق الأخلاقي يُستخدم بشكل انتقائي ويفتقر إلى **الاستمرارية الأخلاقية**، ففي حين يتم تأكيد التفوق الأخلاقي في التعامل مع بعض القضايا، مثل التعامل مع السكان اليهود في إسرائيل، يتم تجاهل انتهاكات حقوق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، هذا التناقض في الخطاب يُعد من أبرز النقاط التي تركز عليها الأدبيات النقدية، حيث يشير البعض إلى أن **إسرائيل** تستخدم هذه المفاهيم لتسويغ عمليات **الاستيطان**، و**القمع العسكري**، و**التمييز العنصري**، مما يعكس أن التفوق الأخلاقي ليس سوى أداة إيديولوجية تخدم مصالحها السياسية.

ج. **النقد لاستخدام النصوص الدينية لتوجيه السياسات:** أحد النقاط التي تثيرها الأدبيات النقدية هي **استخدام النصوص الدينية** كأداة لتبرير السياسات الإسرائيلية المعاصرة، يعتقد بعض المفكرين أن **الخطاب الصهيوني** يعتمد بشكل مفرط على **التفسير الديني** لبعض النصوص التوراتية لتبرير **الممارسات السياسية** مثل **الاستيطان** و**التهجير** و**الاحتلال**، هذه الأدبيات ترى أن هذه التفسيرات تُشكل **إشكالية كبيرة** من حيث احترام المبادئ **العالمية لحقوق الإنسان** التي تتطلب احترام **حقوق الجميع** بغض النظر عن الدين أو القومية[1].

يمكن اعتبار هذا الاستخدام للنصوص الدينية **إشكاليًا** لأنه يعزز **الاستثنائية** والتفوق الأخلاقي الذي يتم تسويغه من خلال آيات دينية وتفسيرات يعتقد أصحابها أنها تمنح الشعب اليهودي الحق الحصري في **الأراضي الفلسطينية**، وبالتالي، يُعتبر هذا الاستخدام للنصوص الدينية بمثابة **تشويه** للقيم العالمية في إطار العلاقات الدولية ومبادئ **العدالة الإنسانية**، حيث أن هذه التفسيرات قد تُظهر التفوق الأخلاقي على حساب الآخر، مما يؤدي إلى **إضفاء الشرعية** على **الاحتلال** و**التمييز** ضد الفلسطينيين.

د. **الإشكالية في تطبيق المفاهيم الأخلاقية العالمية:** الأدبيات النقدية أيضًا تثير قضية مهمة تتعلق بتطبيق **مفاهيم الأخلاق العالمية** على السياسات الإسرائيلية، ففي حين أن التفوق الأخلاقي الإسرائيلي يُروج له في الخطاب الصهيوني كإطار يُظهر التزام إسرائيل بقيم **حقوق الإنسان**، فإن تطبيق هذه القيم في **الصراع الفلسطيني الإسرائيلي** يظهر من خلال **ممارسات سياسية** قد تتناقض مع **المبادئ العالمية لحقوق الإنسان**، وفي هذا السياق، يُطرح تساؤل حول **كيفية التعامل مع هذه التناقضات**، وهل يُعد **التفوق الأخلاقي الإسرائيلي** مجرد أداة للسيطرة والتوسع، أم أنه يعكس **رؤية حقيقية** للمجتمع الإسرائيلي؟ هذا يفتح المجال أمام **النقد الدولي** الذي يعتبر

[1] محمد بركات الشرعة، نظام القوى الدينية ودورها في الحياة السياسية في إسرائيل، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، المجلد 12، العدد 1، 2006، ص265.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

أن إسرائيل قد تستفيد من خطاب التفوق الأخلاقي لتحقيق **أهدافها السياسية** على حساب **الحقوق الفلسطينية**[1].

من خلال الأدبيات النقدية والتأييدية، يظهر أن **مفهوم التفوق الأخلاقي** في الخطاب الصهيوني يُستخدم بطرق متعددة لتبرير **السياسات الإسرائيلية** المختلفة، وفي الوقت ذاته، يتعرض لانتقادات شديدة من قبل **التيارات الفكرية** التي تشكك في **الأسس الأخلاقية** لهذه السياسات، وعلى الرغم من أن بعض الأدبيات تُشيد بالتزام إسرائيل بالقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان في سياقات معينة، إلا أن العديد من النقاد يعتبرون أن هذه القيم تُستخدم كأداة لتبرير الممارسات القمعية، مما يعكس وجود **تفاوت** بين **الخطاب الأخلاقي** والسياسات الفعلية على الأرض.

2_الجذور المحتملة لمفهوم التفوق الأخلاقي في الفكر التوراتي

في هذا المطلب، سيتم استعراض الجذور المحتملة لمفهوم التفوق الأخلاقي في الفكر التوراتي من خلال تحليل بعض المفاهيم الأساسية التي تحمل دلالات أخلاقية قوية، هذه المفاهيم تتعلق بالشعب المختار، الأرض الموعودة، وعلاقة اليهود بالأغيار، وهي مفاهيم تكررت في النصوص التوراتية وأثرت بشكل مباشر على التشكل اللاحق للهوية اليهودية والوعي الأخلاقي في المجتمعات اليهودية، سنستعرض كيف ساهمت هذه المفاهيم في تشكيل العقلية الصهيونية، ومدى تأثيرها في الخطاب الصهيوني المعاصر.

أ: تحليل مفهوم "الشعب المختار (עם סגולה - Am Segula) في أسفار التوراة وتطور تفسيراته

مفهوم "الشعب المختار" أو "**עם סגולה** (Am Segula) "هو أحد المفاهيم المركزية في **الفكر اليهودي** والتفسير الديني التوراتي، حيث يتم تمثيله كحقائق دينية وأسطورية تؤكد **الاستثنائية** الخاصة **باليهود**، يُعبر هذا المصطلح عن الاعتقاد بأن **الشعب اليهودي** قد اختاره الله ليكون شعبًا مقدسًا، ولكونه مختارًا، فإنه يحمل **مسؤولية خاصة** تجاه الله وعملًا خاصًا في العالم.

1) – التفسير التقليدي في الأسفار التوراتية:

في الأسفار التوراتية، يظهر مفهوم "الشعب المختار" في العديد من المواضع التي تبرز فكرة **العلاقة الخاصة بين اليهود والله**، يمكن إرجاع الجذور الأولى لهذا المفهوم إلى **سفر التثنية** (التوراة) حيث وردت هذه الفكرة بشكل واضح، في **سفر التثنية** (التثنية 7:6)، يُقال: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، قد اختارك الرب ليكون له شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"، يُفسر هذا النص

[1] شادي عدنان الشديفات، الاعتبارات القانونية حول وضع القدس في القانون الدولي، فوضى الماضي والحاضر، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد 44، الملحق 1، 2017، ص60.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

تقليديًا على أنه إشارة إلى **عهد خاص** بين الله والشعب اليهودي، وأن هذا الاختيار ليس بسبب تفوقهم في الأخلاق أو الفضائل، بل **تكريمًا من الله** لهم ليحملوا رسالته في الأرض[1].

كما يُظهر هذا المفهوم في **سفر الخروج** (خروج 19:5–6) في حديث الله مع موسى: "وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة"، في هذه النصوص، يُتوقع من **الشعب المختار** أن يكون **شعبًا قدوسًا** ويجب عليه اتباع **الوصايا** والالتزام بها في الحياة اليومية.

2)– التفسير التوراتي في سياق التطور التاريخي:

مع تطور الفهم اليهودي للعهد والوعد الإلهي، تغيرت تفسيرات مفهوم "**الشعب المختار**"، حيث بدأ بعض العلماء اليهود في تفسير هذا المفهوم على أنه **مسؤولية أخلاقية** بالدرجة الأولى، وليس مجرد امتياز، ففي العصور الوسطى، وخاصة في أعمال **الفيلسوف موسى بن ميمون**، أصبح هناك تركيز على فكرة أن **الشعب المختار** يجب أن يعيش وفقًا لمعايير **أخلاقية** عالية، وأن هذا الاختيار لا يقتصر على **الامتياز** بل يتطلب **مسؤولية عظيمة** تجاه الإنسانية[2].

وبالطبع، كان مفهوم "الشعب المختار" في بعض الأحيان يُفهم على أنه **تفوق أخلاقي**، حيث أن هؤلاء الذين اختارهم الله هم من يحافظون على رسالته الأخلاقية في الأرض، في حين أن بعض التفسيرات الأخرى اعتبرت أن الاختيار ليس فقط لتفوق أخلاقي بل ليكون اليهود أداة للرسالة الدينية في العالم.

3)– التحولات في التفسير في العصر الحديث:

في **الفكر الصهيوني** الحديث، حيث تم تفعيل هذا المفهوم لتبرير **الوجود اليهودي في فلسطين** و**حق اليهود في إقامة دولة لهم**، أُستخدم مفهوم "الشعب المختار" كأداة في خطاب **الاستثنائية اليهودية** و**الحق الحصري** في الأراضي المقدسة، سعى الخطاب الصهيوني الديني إلى تبرير **الاستيطان اليهودي** في فلسطين على أساس أن الأرض الموعودة هي جزء من **الوعد الإلهي** للشعب اليهودي، ما يعزز فكرة أن لهم **حقًا تاريخيًا ودينيًا** في هذه الأرض[3].

في هذا السياق، أُعيد تفسير "الشعب المختار" لتوجيه مسار الخطاب الصهيوني نحو بناء دولة يهودية **قائمة على القيم التوراتية**، يعتقد البعض في التيارات الصهيونية الدينية أن هذا الاختيار لا يزال قائمًا، وبالتالي يجب على اليهود أن يستمروا في هذا الدور المميز كـ "شعب مختار" ينفذ إرادة الله في التاريخ، في هذه الأطر، يتعاملون مع هذا المفهوم ليس فقط ك**تفوق ديني**، بل كحق **سياسي** و**جغرافي** يشرعن وجود إسرائيل في المنطقة.

---

[1] رشاد الشامي، الرموز الدينية في اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية، العدد 11، 2000، ص40.

[2] يوسف أحمد ربيع، أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة مناقشة للنصوص التوراتية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 1999، ص 20–75.

[3] ساجدة نوفل، البعد الديني للصراع العربي – الصهيوني الدولة اليهودية (دراسة حالة)، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2018، ص 10–85.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ومع تطور **الخطاب النقدي** وظهور **النقد العلماني** و**الفكر اليهودي الإصلاحي** في العصر الحديث، تم التشكيك في فكرة **الشعب المختار** بوصفها **أداة للتفوق الأخلاقي**، يرى العديد من المفكرين، سواء داخل المجتمع اليهودي أو خارجه، أن هذه الفكرة قد تكون **مضللة**، إذ تُستخدم أحيانًا **لتبرير السياسات الإقصائية** ضد **الفلسطينيين** وغيرهم من الشعوب في الشرق الأوسط، وقد أصبحت هذه الانتقادات جزءًا من النقاش الأوسع حول **تطبيق هذه المفاهيم** في العالم المعاصر ومدى تأثيرها على السياسات الإسرائيلية، خصوصًا في سياق **الاحتلال** و**الصراع الفلسطيني الإسرائيلي**[1].

يُنتقد أيضًا أن **التفوق الأخلاقي** الذي ينسبه البعض إلى اليهود، أو كما يُقال عنهم في الأدبيات التوراتية "الشعب المختار"، يمكن أن يؤدي إلى **التبرير الديني لسياسات غير أخلاقية**، مثل الاستيطان أو الممارسات التي تُعتبر **انتهاكًا لحقوق الإنسان**، ومن هنا، يُطرح التساؤل حول مدى **استمرارية تطبيق هذا المفهوم في العصر الحديث**، وما إذا كان يجب إعادة تفسيره ليتماشى مع القيم الإنسانية العالمية التي تدعو إلى **المساواة** و**العدالة** بين جميع الشعوب.

إن **مفهوم** "**الشعب المختار** "في **التوراة** هو مفهوم **مركب** ومعقد، يتراوح بين **الإيمان الديني** و**التفسير الأخلاقي** و**التوظيف السياسي**، بينما كان يُنظر إلى هذا المفهوم كحقائق دينية تتعلق بالعلاقة الخاصة بين اليهود والله، تطور الفهم التوراتي في الفكر الصهيوني ليأخذ منحى سياسيًا و**أيديولوجيًا**، من المهم فهم هذا المفهوم في سياق **تطورات الفكر اليهودي** والتغيرات السياسية التي شهدتها **إسرائيل**، خاصة فيما يتعلق بكيفية استخدام هذا المفهوم **لتبرير السياسات الإسرائيلية** المعاصرة[2].

ثانياً: دراسة النصوص المتعلقة بـ "الأرض الموعودة" وعلاقتها بالآخر (الكنعانيين وغيرهم)، والأوامر المتعلقة بالحروب والمعاملة مع "الأغيار (Goyim) "في الشريعة اليهودية (الهالاخاه)

يعتبر مفهوم "**الأرض الموعودة** "جزءًا أساسيًا من **النصوص التوراتية** التي تحدد هوية الشعب اليهودي ورؤيته للمستقبل، في الكتاب المقدس، يُنظر إلى **الأرض الموعودة** كأرض **إسرائيل** التي وعد الله بها أبناء **إبراهيم** ومن ثم أبناء **إسرائيل** (يعقوب)، تتكرر هذه الفكرة في العديد من الأسفار التوراتية مثل **سفر التكوين** و**سفر الخروج** و**سفر التثنية**، حيث يُذكَر أن الله وعد شعب إسرائيل بالأرض التي تمتد من **النيل إلى الفرات**.

1)_ الأرض الموعودة والآخر (الكنعانيون وغيرهم):

يُنظر إلى **الأرض الموعودة** في السياق التوراتي على أنها ملك لشعب إسرائيل بشكل حصري، وهي تعد بمثابة **حق إلهي** لا ينازع فيه أحد، لكن هذا الحق يتناقض في بعض الأحيان مع **وجود الشعوب الأخرى**

[1] موتي غولان، القدس في نظر الصهيونية / السياسة الصهيونية تجاه مسألة القدس، ترجمة: جواد سليمان الجعبري، غزة، وزارة الإعلام الفلسطينية، 1996، ص 15-70.

[2] مصطفى مهند، تحولات الخطاب الصهيوني حول المسجد الأقصى، مجلة مجدل، العدد 33، أيلول/سبتمبر 2018، ص 20-75.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

التي كانت تسكن في هذه الأرض، مثل **الكنعانيين** والشعوب الأخرى التي كانت تُعتبر **أممًا غريبة** أو **أغيارًا (Goyim)** في النصوص اليهودية[1].

في **سفر يشوع**، يُصور الاحتلال اليهودي للأرض الموعودة كعملية **حربية** تهدف إلى **طرد الشعوب** التي كانت تسكن في فلسطين، حيث يُفترض أن **الله قد أمر شعب إسرائيل** بالاستيلاء على الأرض وطرد الكنعانيين وغيرهم من السكان الأصليين، تُوضح النصوص بشكل قاطع أن هذه الشعوب كانت تُعتبر **وثنية** وغير متوافقة مع **الوصايا الإلهية**، وبالتالي يُسمح لليهود **بتدميرهم** أو **إبادتهم** في سياقات معينة.

2)- الأوامر المتعلقة بالحروب:

تُعتبر **الحروب المقدسة** أحد المظاهر البارزة في نصوص التوراة فيما يتعلق بالصراع مع **الأغيار**، في **سفر التثنية**، تُعطى أوامر إلهية لشعب إسرائيل بخصوص كيفية خوض الحروب ضد الأمم الأخرى، خاصة عندما يتعلق الأمر بالاستيلاء على **الأرض الموعودة**، يتم تبرير **العنف** الذي يمارس ضد **الكنعانيين** وغيرهم من الشعوب في هذه السياقات بناءً على **الأوامر الإلهية** التي تهدف إلى **تحقيق العدالة الإلهية** وإزالة **الشر** من الأرض، يُقال في النصوص أن هذا التصرف هو جزء من خطة الله لتطهير الأرض من عبادة الأوثان والفساد الأخلاقي[2].

العديد من النصوص تشير إلى أن الله قد **أمر بتدمير** أو **إبادة** بعض الشعوب في الأرض الموعودة بشكل تام، كما في حالة **العمالقة** و**الكنعانيين** الذين يُعتبرون "أعداء الله"، يُفهم من هذه النصوص أن **الحرب** ليست مجرد عمل بشري، بل هي جزء من **إرادة إلهية**، ويُعتبر كل من **القتل** و**التدمير** في هذا السياق عملاً دينيًا وشرعيًا.

3)- المعاملة مع "الأغيار" في الهالاخاه:

في **الشريعة اليهودية (الهالاخاه)**، يُعتبر **الآخرون** أو "**الأغيار** (Goyim) "فئة خارجية لا تنتمي إلى المجتمع اليهودي، وقد تُعامل **بطرق متفاوتة** حسب السياق الديني، في النصوص التقليدية، يُنظر إلى **الأغيار** على أنهم غير ملتزمين بشريعة الله التي تتبعها **الشعب اليهودي**، لذلك يُسمح **بتصنيفهم** على أنهم أقل مرتبة في بعض الأحيان، مما يعزز فكرة التفوق الأخلاقي لليهود في التوراة[3].

ومع ذلك، في النصوص الهالاخية، هناك أيضًا تأكيدات على أنه يجب على اليهود أن **يعاملوا غير اليهود بإنصاف** في حالات معينة، خاصة إذا كانوا يعيشون في **سلام** معهم، إلا أن التفسير الديني يظل منحازًا في بعض الأحيان إلى **تفوق اليهود** على **الأغيار**، مما يساهم في تعزيز الصورة الخاصة

---

[1] هاني المصري، الضفة الغربية بين انحصار السلطة الفلسطينية ومخاطر التوسع الإسرائيلي، مركز الجزيرة للدراسات، 20 مايو 2019، ص 15-50.

[2] عمر مصلحة، أرض الميعاد في التوراة: متى وأين؟، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد 26، مركز مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2019، ص 35-78.

[3] عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني: جذوره ومساره وأزمته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010، ص 65-130.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

بالمجموعة اليهودية باعتبارها جماعة مختارة لا يمكن مقارنة أخلاقياتها مع أخلاقيات الشعوب الأخرى، وفيما يتعلق بالأوامر الإلهية في حالات الحرب، تُقدم بعض التفاسير الهالاخية مبررات ل **المعاملة القاسية** ضد **الأغيار** في سياق الحروب المقدسة[1].

ويُحاول بعض المفكرين والممارسين في العصر الحديث إعادة تفسير هذه النصوص بعيدًا عن السياقات الحربية والعنفية، خاصة في محاولة لفهم العلاقة بين **اليهود والفلسطينيين** في سياق الصراع المعاصر في منطقة الشرق الأوسط، يرى البعض أن هذه التفسيرات يمكن أن تساهم في **إضفاء شرعية دينية على السياسات الإسرائيلية** تجاه الفلسطينيين والشعوب الأخرى في المنطقة، من خلال استخدام النصوص التوراتية لتبرير **الاستيطان** و**الاحتلال**، بينما يُؤكد آخرون على أهمية **إعادة تفسير** هذه النصوص بما يتماشى مع **قيم الإنسانية** الحديثة، خاصة تلك التي تدعو إلى **السلام** و**التعايش السلمي**.

ويشير التحليل إلى أن **مفهوم "الأرض الموعودة** "في التوراة كان ولا يزال أداة قوية في **الخطاب الديني والسياسي** للصهيونية، وقد يُستخدم لتبرير سياسات القوة والسيطرة على الأراضي الفلسطينية، كما أن **التفسير التقليدي للهالاخاه** فيما يتعلق **بالمعاملة مع "الأغيار** "قد يؤدي إلى تعزيز **فكرة التفوق** الأخلاقي لليهود في العالم المعاصر، ويجب التعامل مع هذه النصوص بعناية لتجنب استخدام **الإيديولوجيات الدينية** بشكل يساهم في **إدامة الصراع**.

ثالثاً: استعراض لتفسيرات حاخامية ولاهوتية (قديمة وحديثة) لهذه المفاهيم وتأثيرها على تشكيل وعي أخلاقي خاص بالجماعة اليهودية، وكيف يمكن أن يُساء استخدامها لتبرير التفوق

تُعتبر **التفسيرات الحاخامية** و**اللاهوتية** للنصوص التوراتية محورية في تشكيل **الوعي الأخلاقي** داخل الجماعة اليهودية، خاصة فيما يتعلق بمفاهيم مثل **الشعب المختار** و**الأرض الموعودة**، في التفسيرات التقليدية القديمة، يُنظر إلى مفهوم "الشعب المختار" على أنه يشير إلى مسؤولية أخلاقية عظيمة تجاه الإنسانية، حيث يُعتبر اليهود مسؤولين عن نشر **قيم التوحيد** والأخلاق الإلهية في العالم، لكن هذه الفكرة، في بعض الأحيان، قد تُفهم على أنها **تفوق أخلاقي** لليهود على باقي الشعوب، مما يؤدي إلى تبرير **التمييز** ضد **الأغيار** في بعض الأحيان.

1)- التفسير التقليدي:

في التفسير الحاخامي التقليدي، يُفهم أن اليهود قد اختارهم الله ل **مهمة دينية** تتمثل في الحفاظ على **الوصايا** ونقلها للعالم، يُشدد في هذه التفسيرات على أن **التفوق الأخلاقي** ليس من أجل التفوق على الآخرين بل من أجل **الالتزام بمسؤولية دينية**، ومع ذلك، يمكن أن يُساء استخدام هذا الفهم لتبرير **العنف**

[1] عصام كامل مخيمر، مملكة يهوذا بين التدمير والسبي في ضوء الرواية التوراتية والرواية البابلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 1، رمضان 1438هـ/يونيو 2017م، ص 90-130.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ضد الآخرين أو **التمييز** بين اليهود وغيرهم، خاصة عندما يُرَكَّز على أحقية اليهود في **الأرض الموعودة** دون النظر إلى حقوق الشعوب الأخرى[1].

2)- التفسير الحديث:

في التفسيرات الحديثة، يسعى العديد من الحاخامات والمفكرين اليهود إلى **إعادة تفسير** هذه المفاهيم في ضوء **قيم حقوق الإنسان** و**التعايش السلمي**، على سبيل المثال، هناك توجهات تحاول **تفكيك** فكرة التفوق الأخلاقي، مشددة على ضرورة احترام حقوق **الآخرين** وحماية **العدالة الاجتماعية**، لكن مع ذلك، تبقى بعض التفسيرات التي تحاول استخدام **المفاهيم الدينية** لتبرير **التفوق الأخلاقي** لصالح سياسات الاحتلال أو **الاستيطان** في الأراضي الفلسطينية[2].

3)- الإساءة لتبرير التفوق:

يمكن أن يُساء استخدام المفاهيم التوراتية من قبل بعض الجماعات لتبرير **التفوق الأخلاقي** من خلال انتقاء النصوص التي تدعم هذه الفكرة، مثل استشهادات متكررة بفكرة "الشعب المختار" وحق **إسرائيل** في الأرض، هذا الاستخدام يمكن أن يؤدي إلى تعزيز **التمييز** و**الاستعلاء** على الشعوب الأخرى، مما يساهم في استمرار الصراع والتوترات في المنطقة[3].

ثانياً_ تجليات التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني المعاصر

تمهيد وتقسيم:

في هذا المبحث، سيتم التركيز على كيفية تجسد مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني المعاصر، يتناول المبحث أولاً توظيف الفكر التوراتي في صياغة السردية الأخلاقية الصهيونية المعاصرة، حيث يتم تحليل كيفية استغلال النصوص الدينية القديمة في بناء أسس هذا الخطاب، وتوظيفها في تعزيز القيم التي يُروج لها في السياق السياسي والديني الحديث.

بعد ذلك، يتم التطرق إلى آليات بناء وترويج خطاب التفوق الأخلاقي في الفضاء العام، بما يشمل الوسائل التي تستخدمها الدولة الصهيونية في نشر هذا الخطاب عبر مختلف القنوات الإعلامية والسياسية، وكيفية تكريسه في الوعي العام كجزء من الهوية الوطنية الصهيونية.

هذا المبحث يهدف إلى تسليط الضوء على كيفية تحول المفاهيم الدينية التقليدية إلى أيديولوجيات معاصرة تسهم في تكريس التفوق الأخلاقي كركيزة للسياسات الإسرائيلية المعاصرة.

---

[1] صالح الرقب، ليس لليهود حق ديني في فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السادس، العدد الأول، يناير 1998، ص95.

[2] عودة عبد عودة، التلمود وأثره في صياغة الشخصية اليهودية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع 32، الإمارات دبي، 2006، ص 50-120.

[3] محمد عمر محمد حسين، أسرار من الصهيونية والماسونية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط 1، 1992م، ص 90-115.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

1_ توظيف الفكر التوراتي في بناء السردية الصهيونية المعاصرة للأخلاق

تعد الصهيونية أحد الأيديولوجيات السياسية التي تستند إلى مفاهيم دينية توراتية في تأسيس هويتها السياسية والثقافية، لذلك، يعد فهم كيفية استخدام الفكر التوراتي في بناء السردية الصهيونية المعاصرة للأخلاق أمرًا أساسيًا لدراسة الخطاب الصهيوني، وتحديدا فيما يتعلق بمفهوم التفوق الأخلاقي الذي يتبناه، في هذا المطلب، سوف نبحث في كيفية توظيف المفاهيم التوراتية مثل "الاختيار" و"الأرض" وغيرها من المفاهيم التوراتية لإبراز التفوق الأخلاقي من خلال الخطاب الصهيوني المعاصر.

أ_ تحليل كيفية استخدام التيارات الصهيونية المختلفة (خاصة الصهيونية الدينية) للمفاهيم التوراتية (الاختيار، الأرض، إلخ) لتدعيم خطاب التفوق الأخلاقي

لعبت المفاهيم التوراتية دورًا محوريًا في بناء الخطاب الصهيوني، ولا سيما في تياراته الدينية التي سعت إلى تأسيس شرعية أخلاقية للمشروع الصهيوني عبر الاستناد إلى نصوص دينية راسخة في الوجدان اليهودي، وقد تصدرت مفاهيم مثل "الاختيار الإلهي" و"أرض الميعاد" هذا التوظيف، حيث تم تفسيرها وتكييفها بما يخدم تحقيق أهداف سياسية معاصرة.

1)- مفهوم "الاختيار الإلهي" وتكريس التفوق الأخلاقي: اعتمدت الصهيونية الدينية، وتيارات أخرى بدرجات متفاوتة، على عقيدة "شعب الله المختار" لتبرير حق اليهود في إقامة دولتهم في فلسطين، ففي التصورات الدينية، يُقدَّم الشعب اليهودي على أنه يتمتع بمكانة استثنائية بين أمم الأرض، مكلف بأداء رسالة أخلاقية وروحية، وقد تم توسيع هذا التصور ليشمل تبرير الهيمنة السياسية، حيث صور الخطاب الصهيوني الوجود اليهودي في فلسطين بأنه ليس فقط مشروعًا قوميًا بل رسالة أخلاقية لإصلاح العالم (تيكون عولام)، وهو ما رسّخ فكرة تفوق اليهود أخلاقيًا مقارنةً بالشعوب الأخرى[1].

2)- مفهوم "أرض الميعاد" وتبرير الاستيطان: شكّل مفهوم "أرض الميعاد" المرتكز الأساسي للخطاب الصهيوني المرتبط بالحقوق التاريخية والدينية، وفق الرؤية التوراتية، تُعد أرض كنعان (فلسطين التاريخية) ملكًا إلهيًا ممنوحًا حصريًا لبني إسرائيل، استثمرت الصهيونية هذا التصور لإضفاء قداسة على المشروع الاستيطاني، فتم تصوير استرجاع الأرض على أنه تحقيق للوعد الإلهي لا مجرد نشاط سياسي أو عسكري، وقد استخدمت هذه الرؤية لتبرير طرد السكان الأصليين باعتبارهم "دخلاء" على الأرض الموعودة.

3) - تأويل المفاهيم الدينية في خطاب حديث: مع بروز تيارات صهيونية علمانية مثل الصهيونية العمالية، لم يُهمل الفكر الديني بالكامل، بل أُعيدت صياغته بلغة قومية حديثة، فبدل التركيز على الالتزامات الدينية، جرى تأكيد "الحق الطبيعي" و"التاريخي" للشعب اليهودي بالاستناد إلى الرمزية الدينية، في المقابل، شددت الصهيونية الدينية، ممثلة بحركات مثل "غوش إيمونيم"، على أن الاستيطان في

[1] محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية الداخلية وعلاقاتها بالتراث الديني اليهودي، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1981م، ص 30-50.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الضفة الغربية تحديدًا هو واجب ديني مقدس، ورفضت أي حلول سياسية تتنازل عن "أجزاء من الأرض المقدسة"[1].

4) – الخطاب الأخلاقي الموجه للعالم الخارجي: على الصعيد الدولي، لجأت الصهيونية إلى إبراز هذه المفاهيم التوراتية لإضفاء بعد أخلاقي على مشروعها السياسي، حيث قُدمت إسرائيل كملاذ لشعب مضطهد ينفذ وعدًا إلهيًا ويؤسس مجتمعًا ديمقراطيًا وإنسانيًا، ما ساعد على اكتساب الدعم الغربي، خصوصًا في بيئات ثقافية مسيحية تتعاطف مع الرموز التوراتية[2].

وهكذا، أسهم استخدام المفاهيم التوراتية في بناء خطاب صهيوني معقد، يتراوح بين الإيمان الديني العميق من جهة، والتوظيف السياسي البراغماتي من جهة أخرى، لصناعة صورة التفوق الأخلاقي للمشروع الصهيوني أمام الذات وأمام الآخر.

ب_: دراسة دور المؤسسات الدينية والتعليمية في إسرائيل في ترسيخ تفسيرات معينة للنصوص التوراتية تخدم هذا الخطاب

تلعب المؤسسات الدينية والتعليمية في إسرائيل دورًا حيويًا في تشكيل الخطاب الصهيوني حول التفوق الأخلاقي وتفسير النصوص التوراتية بطريقة تخدم هذا الخطاب، على سبيل المثال، العديد من المدارس الدينية الإسرائيلية تعتمد على منهج دراسي يعزز التفسير التقليدي للنصوص التوراتية، ويركز على مسؤولية اليهود الأخلاقية في حماية الأرض الموعودة وتحقيق التوسع في الأراضي المقدسة[3].

تعتبر "المدارس الدينية" في إسرائيل، مثل مدارس "مدرسة بني عكيفا" التي تروج للفكر الصهيوني الديني، جزءًا من الأداة التعليمية التي تعزز هذه الفكرة، يتم تدريس الطلاب في هذه المدارس أن الأرض هي حق مقدس لليهود فقط، وأن على الشعب اليهودي مسؤولية تاريخية لتحقيق وعد الله في الأرض الموعودة، ما يتماشى مع خطاب التفوق الأخلاقي[4].

إلى جانب ذلك، تعمل بعض المعاهد الدينية مثل "يشيفا" (مؤسسة تعليمية دينية) على نشر تفسيرات تروج لفكرة التفوق الأخلاقي في مواجهة الأعداء التاريخيين، مثل الفلسطينيين، بناءً على تفسيرات النصوص التوراتية التي تتعلق بـ "التهديدات" التي تواجه إسرائيل، هذه التفسيرات تسهم في تكريس فكرة التفوق الأخلاقي في الفكر الصهيوني، التي تربط بين الدين والسياسة، وتدعم في الوقت نفسه السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين.

---

[1] منصور عبد الوهاب، منظومة التعليم العام في إسرائيل الواقع والمستقبل، في :إبراهيم بحريني، وآخرون، استراتيجية إسرائيل 2028 – دراسة تحليلية، القاهرة، جامعة الزقازيق، مركز الدراسات الإسرائيلية، 2012، ص 10–60.

[2] عمرو عبد العلي علام، المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2007، ص 10–80.

[3] إسماعيل راجي الفاروقي، أصول صهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1988م، ص 130–150.

[4] يحيى أبو عودة، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في إسرائيل وأثرها على التسوية السياسية، رسالة ماجستير، 2017، ص 220.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ج: رصد تحولات هذا الخطاب: هل بقي مرتبطًا بالدين أم اتخذ أشكالًا علمانية (مثل التفوق الديمقراطي، التفوق الحضاري، التفوق الأمني)؟

مع مرور الوقت، شهد الخطاب الصهيوني تحولات كبيرة في طريقة استخدامه للمفاهيم التوراتية، وتحولت هذه المفاهيم من خطاب ديني بحت إلى خطاب علماني يقدم التفوق الأخلاقي كحق قائم على القيم الإنسانية والسياسية، بداية من تأسيس دولة إسرائيل في 1948، بدأ الخطاب الصهيوني يتجه بشكل أكبر نحو التوظيف السياسي للقيم الغربية، مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان، وذلك لتعزيز فكرة التفوق الأخلاقي بطريقة تتناسب مع السياق العالمي[1].

على سبيل المثال، أصبح شعار "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط" أحد أبرز شعارات الخطاب الصهيوني المعاصر، والذي يعزز من فكرة التفوق الأخلاقي لإسرائيل في المنطقة، ويظهرها على أنها النموذج الأمثل للديمقراطية والحقوق الإنسانية، وهذا الخطاب لا يرتكز فقط على التفسيرات التوراتية، بل يتم دمجه مع مفاهيم ليبرالية غربية تروج للتفوق الديمقراطي والإنساني لإسرائيل[2].

كذلك، يُستخدم خطاب التفوق الأمني كأداة لتعزيز التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني المعاصر، يتم تصوير الجيش الإسرائيلي على أنه "الجيش الأكثر أخلاقية في العالم"، وذلك من خلال الترويج لفكرة أن الجيش الإسرائيلي يلتزم بمعايير أخلاقية استثنائية أثناء العمليات العسكرية، مع التركيز على محاولاته لتقليل الأضرار الجانبية في الحروب، هنا، يتم استبدال اللغة الدينية التقليدية بأطر علمانية تمزج بين الديمقراطية والأخلاق الإنسانية[3].

بذلك، يمكن القول إن الخطاب الصهيوني قد شهد تحولًا من الخطاب الديني الصريح المرتبط بشكل مباشر بالنصوص التوراتية، إلى خطاب علماني أكثر تنوعًا يتراوح بين التفوق الديمقراطي والتفوق الحضاري والأمني، مما يُبرز تحولًا في طريقة تقديم التفوق الأخلاقي من خلال السردية الصهيونية.

2_آليات بناء وترويج خطاب التفوق الأخلاقي في الفضاء العام

يتخذ خطاب التفوق الأخلاقي في إسرائيل أشكالًا متعددة ويُروج عبر عدة آليات ووسائل، من خلال هذا المطلب، سيتم تحليل كيفية بناء هذا الخطاب وترويج صورته في الفضاء العام الإسرائيلي والعالمي، يشمل ذلك الخطاب السياسي الذي يقدمه القادة الإسرائيليون، بالإضافة إلى دور الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك الخطاب الدبلوماسي الموجه للعالم الخارجي، سنتناول في هذا المطلب كل من هذه الآليات بشكل متكامل لفهم طريقة ترويج صورة التفوق الأخلاقي الإسرائيلي وأدواته المتنوعة.

---

[1] عبد الرؤوف أرناؤوط، إسرائيل في القدس الشرقية من الحسم الجغرافي إلى الحسم الديموغرافي، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 27، العدد 105، شتاء 2016، ص 75.

[2] علاء زياد الأسمر، القدس في إسفار التوراة دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2018، ص 210.

[3] محمد جلاء إدريس، أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، مركز الإعلام العربي، الجيزة، 2001، ص 190.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

أ: تحليل الخطاب السياسي للقادة الإسرائيليين (خطب، تصريحات) وكيفية تقديمه لإسرائيل ككيان أخلاقي متفوق، خاصة في سياق الصراع

الخطاب السياسي للقادة الإسرائيليين يشكل أداة أساسية في بناء وترويج صورة إسرائيل كدولة أخلاقية متفوقة، خاصة في سياق الصراع الإسرائيلي الفلسطيني والصراعات الإقليمية الأخرى، يستغل القادة الإسرائيليون في خطبهم وتصريحاتهم كل فرصة لتقديم إسرائيل باعتبارها دولة تدافع عن نفسها في مواجهة التهديدات الخارجية، وتركز على صورتها كدولة تسعى إلى السلام، بالرغم من التحديات التي تواجهها[1].

يتم تقديم إسرائيل في كثير من الأحيان كـ "ديمقراطية فريدة" في الشرق الأوسط، مع التركيز على قيمها الغربية مثل حقوق الإنسان، مع كونها تُعد الجسر بين الغرب والشرق، ومن أبرز الخطابات التي تساعد في تقديم هذا التصور تلك التي تتعلق بجيش الدفاع الإسرائيلي (الجيش الإسرائيلي)، الذي يُصور على أنه "الجيش الأكثر أخلاقية في العالم"، حيث يتم التأكيد على أنه يلتزم بمبادئ أخلاقية صارمة أثناء العمليات العسكرية، ويسعى دائمًا لتقليل الضرر على المدنيين[2].

كذلك، في خطب مثل تلك التي يلقيها رئيس الوزراء الإسرائيلي أو وزير الدفاع، يتم التركيز على "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها"، مما يعزز من فكرة أن إسرائيل تقوم بواجبها في حماية مواطنيها، حتى وإن كانت السياسات العسكرية تثير الانتقادات الدولية، وعادة ما يتم تقديم هذه الإجراءات على أنها متوافقة مع معايير أخلاقية رفيعة، رغم الضغوط الدولية.

ب: دور الإعلام الإسرائيلي ووسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل صورة إسرائيل الأخلاقية وتبرير سياساتها العسكرية والأمنية

الإعلام الإسرائيلي ووسائل التواصل الاجتماعي يلعبان دورًا محوريًا في ترويج خطاب التفوق الأخلاقي في الفضاء العام، من خلال القنوات الإخبارية، مثل "القناة 12" و"القناة 13" الإسرائيلية، تُنقل الصور التي تؤكد على التفوق الأخلاقي لإسرائيل في تعاملها مع التهديدات الأمنية والصراعات، يتم استخدام الإعلام بشكل منهجي لتقديم إسرائيل على أنها الدولة الوحيدة القادرة على الحفاظ على الأمن في المنطقة، وأن سياساتها العسكرية مبررة في مواجهة التهديدات المستمرة[3].

أحد الأساليب البارزة في هذا السياق هو استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية التي تروج لتصور إسرائيل كدولة تدافع عن قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، يتم استغلال منصات مثل "تويتر" و"فيسبوك"

---

[1] أحمد الدبش، انهيار التاريخ التوراتي ملف علم الآثار وعلاقته بالسياسة والأيدولوجيا في إسرائيل، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد 73، 2019، ص 90.

[2] عزمي بشارة، دوامة الدين في إسرائيل، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 1، العدد 3، صيف 1990، ص 90.

[3] عبير عبد الرحمن ثابت، مدى تأثير فكرة يهودية الدولة الإسرائيلية على مستقبل القضية الفلسطينية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 1، يونيو 2015، ص 120.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

و"إنستغرام" لتسويق صور إسرائيلية تحاول إظهار التفوق الأخلاقي، مثل نشر صور جنود إسرائيليين وهم يقدمون مساعدات إنسانية في مناطق صراع أو تصوير العمليات العسكرية الإسرائيلية على أنها دقيقة للغاية وتراعي تفادي الأضرار الجانبية[1].

هذه الوسائل تعد جزءًا من استراتيجية شاملة تروج لإسرائيل في الفضاء العام العالمي كدولة تحترم حقوق الإنسان، رغم سياسة الاحتلال والممارسات العسكرية التي تتبعها، كما يتم استخدام هذه المنصات للتفاعل المباشر مع الانتقادات الدولية، مما يُتيح لإسرائيل الرد وتوضيح سياستها من منظور التفوق الأخلاقي.

ج: تحليل الخطاب الموجه للخارج (الدبلوماسية العامة – هاسبارا Hasbara) وكيفية استخدامه لمفهوم التفوق الأخلاقي لكسب التأييد الدولي

تُعد "الهاسبارا" أو "الدبلوماسية العامة" جزءًا أساسيًا من استراتيجية إسرائيل لترويج صورة التفوق الأخلاقي خارج حدودها، هذه الاستراتيجية تهدف إلى تحسين صورة إسرائيل في العالم، وتوسيع دائرة تأييدها الدولي، سواء في الأمم المتحدة أو بين الحكومات والدول الكبرى، مثل الولايات المتحدة[2].

من خلال الهاسبارا، تروج إسرائيل لنفسها كداعم رئيسي للسلام والاستقرار في الشرق الأوسط، وتؤكد على أنها الدولة الوحيدة التي تحترم حقوق الإنسان والديمقراطية في المنطقة، وتستخدم هذه الدبلوماسية العامة كأداة لإقناع الدول الأجنبية والرأي العام العالمي بأن السياسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية هي جزء من حق الدفاع عن النفس، وأنها تأتي في سياق التهديدات التي تتعرض لها إسرائيل[3].

المستوى الرسمي لهذه الدبلوماسية يتجلى في تصرفات وتوجهات الحكومة الإسرائيلية التي تحاول التأثير على مواقف الدول الغربية، مستفيدة من التحالفات السياسية والاقتصادية، كما تقوم وزارة الشؤون الاستراتيجية في إسرائيل بتنظيم حملات إعلامية موجهة للخارج، تسعى من خلالها إلى تعديل الرؤية العالمية بشأن السياسات الإسرائيلية وتبرير ممارساتها العسكرية والأمنية[4].

في هذا السياق، يُستخدم خطاب التفوق الأخلاقي كأداة لإقناع المجتمع الدولي بأن إسرائيل لا تسعى للهيمنة أو الاستعمار، بل تدافع عن حقها في العيش بسلام وأمان، تُبرز إسرائيل في هذه الحملات كيف أنها ملتزمة بالقوانين الدولية وأن أي تصرفات تقوم بها، حتى إذا كانت قاسية، هي دفاع عن وجودها وليس عدوانًا. بذلك، يعكس الخطاب الموجه للخارج عبر الهاسبارا صورة إسرائيل كدولة تمتلك حقًا أخلاقيًا في التفوق على الآخرين في منطقة مضطربة، وهو ما يهدف إلى كسب تأييد دولي ودعم سياسي في مواجهة الانتقادات المستمرة للسياسات الإسرائيلية.

---

[1] فوزي سعيد الجدبة، الاستيطان الإسرائيلي في شرقي القدس 1967–2009 دراسة في الجغرافيا السياسية، مجلة جامعة الأقصى سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، 2015، ص 190.

[2] غازي حسين، الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003، ص70.

[3] حبيب قهوجي، الأحزاب الإسرائيلية والحركات السياسية في الكيان الصهيوني، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، ص 35–100.

[4] أحمد لطفي عبد السلام، الانحياز الأمريكي لإسرائيل: دوافعه التاريخية والاجتماعية والسياسية، القاهرة، مكتبة النافذة، 2005، ص 15–70.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ثالثا_ مقارنة بين خطاب التفوق الأخلاقي والسياسات الإسرائيلية الفعلية

تمهيد وتقسيم:

في هذا المبحث، يُتناول موضوع مقارنة خطاب التفوق الأخلاقي الذي يتبناه الخطاب الصهيوني مع السياسات الفعلية التي تنفذها دولة إسرائيل على الأرض، يتم في المبحث فحص الممارسات والسياسات الإسرائيلية المختلفة في سياق الادعاء بالتفوق الأخلاقي، حيث تتم مقارنة تلك السياسات مع القيم التي يروج لها الخطاب الرسمي، الهدف من ذلك هو تحليل مدى التوافق أو التناقض بين ما يُروج له من مبادئ أخلاقية وبين ما يتم تنفيذه فعلاً في الواقع السياسي والإستراتيجي، بعد ذلك، يتم تقييم العلاقة بين الفكر التوراتي الذي يشكل مرجعية أساسية للخطاب الصهيوني، والسياسات الإسرائيلية المعاصرة، وكيف تتداخل هذه المرجعيات الدينية مع السياسات الواقعية، هذا المبحث يهدف إلى تقديم رؤية نقدية لتسليط الضوء على التفاوت بين التوجهات النظرية والممارسات العملية، وتحليل كيفية تأثير الفكر الديني على القرارات والسياسات الإسرائيلية في السياقات المختلفة.

1_ تحليل سياسات وممارسات إسرائيلية في ضوء ادعاء التفوق الأخلاقي

تتمثل السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وداخل إسرائيل في مجموعة من الممارسات التي تحظى بانتقادات واسعة سواء من قبل المجتمع الدولي أو من قبل منظمات حقوق الإنسان، في هذا المطلب، سنستعرض كيف تتناقض السياسات الإسرائيلية مع ادعاء التفوق الأخلاقي الذي تروج له في خطابها الرسمي، سنحلل مجموعة من السياسات والممارسات الإسرائيلية، بدءًا من قوانين التمييز مثل "قانون القومية" إلى سياسات الاستيطان، مرورًا بمصادرة الأراضي وهدم المنازل، وصولاً إلى التعامل مع الأسرى الفلسطينيين والحصار المفروض على قطاع غزة.

أ: دراسة السياسات تجاه الفلسطينيين (في الأراضي المحتلة وداخل إسرائيل)

رغم ادعاء الخطاب الصهيوني المعاصر بالتفوق الأخلاقي، إلا أن السياسات التي تنتهجها إسرائيل تجاه الفلسطينيين سواء داخل أراضي عام 1948 أو في الأراضي المحتلة عام 1967 تكشف عن فجوة جوهرية بين الادعاءات الأخلاقية والممارسات الفعلية[1].

1)- قانون القومية (2018) وتمييز المواطنين: يُعد قانون "القومية" الذي أقرته إسرائيل عام 2018 أحد أبرز التشريعات التي تتناقض مع خطاب التفوق الأخلاقي، فقد رسخ هذا القانون الطابع اليهودي للدولة، ونص صراحةً على أن حق تقرير المصير في إسرائيل يقتصر على الشعب اليهودي وحده، مستبعدًا بذلك المواطنين الفلسطينيين الذين يشكلون نحو 20% من السكان، ومن خلال ذلك، كرس القانون تمييزًا قانونيًا ومؤسسيًا بين اليهود وغير اليهود في مجالات عدة، أبرزها الحق في السكن والتعليم

[1] عبد الوهاب المسيري، التجانس اليهودي والشخصية اليهودية، القاهرة، 2003، ص 30-88.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

والحقوق السياسية، مما أضعف مفهوم المواطنة المتساوية الذي يُعد من ركائز الخطاب الأخلاقي العالمي[1].

2)- سياسة الاستيطان في الضفة الغربية والقدس الشرقية: تمثل سياسة الاستيطان إحدى أكثر السياسات الإسرائيلية إثارةً للجدل الدولي، إذ تقوم إسرائيل ببناء مستوطنات يهودية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، في انتهاك صارخ للقانون الدولي الإنساني، ولا سيما المادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة التي تحظر نقل السكان المدنيين إلى الأراضي المحتلة، وترتبط سياسة الاستيطان بمصادرة واسعة للأراضي الفلسطينية، ما يؤدي إلى تقليص المساحات المتاحة للفلسطينيين، وتكريس واقع جغرافي يجعل من إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة أمرًا شبه مستحيل، مما يقوض الأسس الأخلاقية التي يدعيها الخطاب الصهيوني[2].

3) - سياسة هدم المنازل: تعتبر سياسة هدم منازل الفلسطينيين بحجج مختلفة، مثل البناء غير المرخص أو الرد على عمليات مقاومة فلسطينية، من السياسات التي تُنتقد باعتبارها شكلاً من أشكال العقاب الجماعي، وهو ما يتنافى مع مبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي، وغالبًا ما يؤدي هذا الإجراء إلى تهجير عائلات بأكملها، وإلى تفاقم المعاناة الاقتصادية والاجتماعية للفلسطينيين، مما يعكس تناقضًا واضحًا مع الادعاءات الأخلاقية للمشروع الصهيوني[3].

4) - انتهاكات حقوق الأسرى الفلسطينيين: تشير تقارير منظمات حقوق الإنسان إلى استخدام إسرائيل أساليب قاسية في التعامل مع الأسرى الفلسطينيين، بما في ذلك ممارسة التعذيب أثناء التحقيق، واحتجاز الأسرى الإداريين لفترات طويلة دون محاكمة عادلة، وتشكل هذه السياسات انتهاكًا صريحًا للمعايير الدولية لحقوق الإنسان، وتثير تساؤلات حادة حول مدى التزام إسرائيل بالقيم الأخلاقية التي تروج لها[4].

5) - الحصار على قطاع غزة: يُعد الحصار المفروض على قطاع غزة منذ أكثر من عقد مثالًا آخر على السياسات التي تقوض الخطاب الأخلاقي الصهيوني، فعلى الرغم من التبريرات الأمنية التي تقدمها إسرائيل، إلا أن الحصار أدى إلى أوضاع إنسانية كارثية، حيث يعاني السكان من نقص حاد في الغذاء والدواء والمواد الأساسية، ويؤكد كثير من التقارير الأممية أن هذا الحصار يشكل عقابًا جماعيًا بحق أكثر من مليوني إنسان، في تناقض صارخ مع المبادئ الأخلاقية والإنسانية التي يفترض أن تحترمها الدول[5].

---

[1] نور الدين مصلحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون: السياسة التوسعية 1967-2000، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 50-105.

[2] محمد هزيمه، الأيدلوجية اليهودية دراسة في مسيرة الأيدلوجية اليهودية التاريخية والاعتقادية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2009، ص 20-95.

[3] جبر الهول، المواثيق والعهود في ممارسات اليهود – قراءة في الفكر الديني والسياسي اليهودي المعاصر، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004، ص 30-120.

[4] هنادي عيسى عبد المحمود، الإرهاب والعنف في الفكر اليهودي، رسالة ماجستير قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، 2000، ص 50-150.

[5] مصطفى محمود، إسرائيل.. البداية والنهاية، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، القاهرة، بدون تاريخ، ص 15-40.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

بناءً على ما تقدم، يظهر أن السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين تتعارض بشكل جوهري مع ادعاءات التفوق الأخلاقي التي تسعى السردية الصهيونية إلى ترسيخها، مما يضع هذه السردية أمام تناقضات بنيوية يصعب تجاوزها.

ب: تحليل موقف إسرائيل وسلوكها تجاه القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني

يواجه سلوك إسرائيل تجاه القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني انتقادات حادة من المجتمع الدولي، نظرًا لما تتضمنه سياساتها من خروقات متكررة للمبادئ والقواعد التي أُرست لضمان حماية حقوق الإنسان واحترام سيادة القانون خلال النزاعات المسلحة، وقد تجلى هذا السلوك في ممارسات متعددة، أبرزها الاستيطان في الأراضي المحتلة، وهدم منازل الفلسطينيين، وفرض الحصار، وممارسة العقاب الجماعي[1].

تُعد سياسة الاستيطان الإسرائيلية واحدة من أبرز مظاهر انتهاك القانون الدولي، فوفقًا لقرار مجلس الأمن رقم 242 لعام 1967، الذي طالب بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حرب يونيو 1967، يعتبر بناء المستوطنات في الضفة الغربية والقدس الشرقية غير قانوني، كما أكدت العديد من القرارات الأممية اللاحقة، مثل القرار رقم 446 لعام 1979 والقرار رقم 2334 لعام 2016، على عدم شرعية المستوطنات، واعتبرتها عقبة رئيسية أمام تحقيق السلام العادل والدائم، علاوة على ذلك، أصدرت محكمة العدل الدولية فتوى استشارية في عام 2004 بشأن الجدار الفاصل الذي تبنيه إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، حيث خلصت إلى أن بناء الجدار والاستيطان المرتبط به ينتهك القانون الدولي، ويشكل إخلالًا بالالتزامات المفروضة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949.

ورغم هذا السجل الحافل بالإدانات الدولية، تصر إسرائيل على تبرير هذه السياسات بدواعٍ أمنية، مدعية أن الاستيطان وتوسيع الكتل الاستيطانية ضروريان لضمان أمنها القومي وحماية سكانها، إلا أن هذا الموقف يتعارض بوضوح مع المبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني، الذي يفرض قيودًا صارمة على قوة الاحتلال، ويمنع نقل السكان المدنيين إلى الأراضي المحتلة أو القيام بأي تغييرات ديموغرافية قسرية[2].

أما فيما يتعلق بهدم المنازل، فتستخدم إسرائيل هذه السياسة بحجة أن المنازل بُنيت بدون تصاريح قانونية، أو كإجراء عقابي ضد عائلات فلسطينية يُتهم أحد أفرادها بالمشاركة في عمليات مقاومة، وتعتبر منظمات حقوق الإنسان أن هدم المنازل يشكل عقابًا جماعيًا محظورًا بموجب القانون الدولي الإنساني، خصوصًا المادة 33 من اتفاقية جنيف الرابعة التي تنص على أنه "لا يجوز معاقبة أي شخص محمي على مخالفة

[1] وليد الخالدي، بناء الدولة اليهودية 1897–1948 أداة عسكرية، مجلة الدراسات الفلسطينية، 1999، مجلد 10، العدد 39، صيف، ص 95.

[2] أحمد رأفت غضية، الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وحسم مصيرها، مجلة دراسات باحث، السنة الثالثة، ربيع 2005م، ص 22–60.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

لم يقترفها بنفسه"، كما أن الإجراءات الإسرائيلية المتعلقة بهدم المنازل تؤثر سلبًا على آلاف الفلسطينيين الذين يُجبرون على العيش في ظروف إنسانية متدهورة نتيجة فقدان مساكنهم وممتلكاتهم[1].

على صعيد آخر، تفرض إسرائيل حصارًا صارمًا على قطاع غزة منذ عام 2007، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الإنسانية بشكل خطير، ويؤكد العديد من تقارير الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية الدولية أن الحصار يمثل شكلاً من أشكال العقاب الجماعي، وينتهك أحكام القانون الدولي الإنساني، الذي يحظر استهداف السكان المدنيين أو إلحاق الأذى بهم بشكل متعمد، ورغم التذرع بالضرورات الأمنية، فإن الحصار أدى إلى نقص حاد في الغذاء والدواء ومواد البناء، مما جعل الظروف المعيشية في غزة تصنف بأنها غير إنسانية.

كذلك، أثار استخدام إسرائيل للقوة خلال العمليات العسكرية في قطاع غزة والضفة الغربية تساؤلات قانونية وأخلاقية كبيرة، ففي العديد من الحالات، وُجهت اتهامات لإسرائيل باستخدام القوة المفرطة وغير المتناسبة، مما أدى إلى مقتل وجرح أعداد كبيرة من المدنيين، بما في ذلك النساء والأطفال، وقد خلصت تقارير لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة حول النزاعات في غزة إلى أن سلوك القوات الإسرائيلية قد يرقى في بعض الأحيان إلى جرائم حرب بموجب القانون الدولي[2].

في ضوء ما تقدم، يظهر بوضوح أن السلوك الإسرائيلي تجاه القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني يتسم بالتحدي والمواجهة المتعمدة، مما يضع مصداقية الرواية الصهيونية الأخلاقية موضع تساؤل عميق، فبدلاً من الالتزام بالقواعد والمعايير التي تحكم العلاقات الدولية وحماية المدنيين، تنتهج إسرائيل سياسة الأمر الواقع التي تقوم على تجاهل القرارات الدولية واستغلال موازين القوى السياسية لدعم استراتيجيتها، وهو ما أدى إلى تقويض الثقة الدولية بشرعية مواقفها وزيادة حدة الانتقادات الموجهة لها على الصعيدين الحقوقي والدبلوماسي.

ج: رصد وتحليل الانتقادات الداخلية (منظمات حقوق إنسان إسرائيلية، أكاديميون، صحفيون)

على الرغم من إصرار الخطاب الصهيوني الرسمي على الترويج لفكرة "التفوق الأخلاقي" لإسرائيل باعتبارها "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط" و"واحة الحقوق والحريات"، إلا أن هناك انتقادات داخلية واسعة من قبل منظمات حقوقية إسرائيلية، وأكاديميين وصحفيين، توجه نقدًا لاذعًا للممارسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، سواء داخل الخط الأخضر أو في الأراضي المحتلة.

[1] محمد بركات الشرعة، نظام القوى الدينية ودورها في الحياة السياسية في إسرائيل، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، المجلد 12، العدد 1، 2006، ص265.

[2] شادي عدنان الشديفات، الاعتبارات القانونية حول وضع القدس في القانون الدولي، فوضى الماضي والحاضر، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد 44، الملحق 1، 2017، ص60.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

من أبرز منظمات حقوق الإنسان الإسرائيلية التي تتصدر هذا المشهد منظمة "**بتسيلم**"، التي تأسست عام 1989 وتخصصت في توثيق انتهاكات حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، تصف "بتسيلم" السياسات الإسرائيلية بأنها نظام فصل عنصري (أبارتهايد) يمارس التمييز الممنهج ضد الفلسطينيين[1].

ففي تقرير مفصلي أصدرته عام 2021، أعلنت المنظمة أن إسرائيل ليست فقط قوة احتلال، بل تمارس نظامًا يقوم على السيطرة اليهودية على حساب الفلسطينيين، سواء داخل إسرائيل أو في الضفة الغربية وغزة، وقد مثل هذا التحول في الخطاب الحقوقي الداخلي تحديًا جوهريًا للسردية الرسمية الإسرائيلية.

من جهة أخرى، تنشط منظمة "**السلام الآن**"، التي تركز على معارضة الاستيطان الإسرائيلي والدعوة لإنهاء الاحتلال وتحقيق حل الدولتين، تنظر هذه المنظمة إلى التوسع الاستيطاني بوصفه عقبة رئيسية أمام تحقيق السلام، وترى أنه يتناقض مع القيم الديمقراطية والأخلاقية التي تدعيها إسرائيل أمام العالم، عبر تقاريرها الدورية، توثق "السلام الآن" باستمرار عمليات مصادرة الأراضي، وهدم المنازل، وتوسيع البؤر الاستيطانية بشكل غير قانوني[2].

ولم تقتصر الانتقادات الداخلية على المنظمات الحقوقية فحسب، بل امتدت إلى أصوات أكاديمية بارزة داخل إسرائيل، فقد عبر العديد من الأكاديميين الإسرائيليين عن قلقهم إزاء التناقض بين القيم المعلنة للدولة اليهودية الديمقراطية، وبين السياسات التوسعية والقمعية الممارسة ضد الفلسطينيين، على سبيل المثال، ينتقد المؤرخ الإسرائيلي **إيلان بابيه** السياسات الإسرائيلية بشدة، واصفًا قيام دولة إسرائيل بأنه نتيجة "تطهير عرقي" للفلسطينيين، مخالفًا بذلك الرواية الصهيونية التقليدية التي تصور إقامة الدولة كعمل بطولي مشروع.

كما أن هناك أكاديميين آخرين مثل **أميرة هاس**، الصحفية والباحثة الإسرائيلية التي عاشت سنوات طويلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، والكاتبة في صحيفة "هآرتس"، تعبر عن انتقاداتها بشكل متكرر للسياسات الإسرائيلية، وتسلط الضوء على المعاناة اليومية للفلسطينيين تحت الاحتلال، ترى هاس أن الخطاب الإسرائيلي الرسمي يتجاهل عمدًا مسؤولية الدولة عن ممارسات العنف والقمع، بينما يتم تقديم الرواية الرسمية بوصفها دفاعًا مشروعًا عن النفس[3].

وتتزايد هذه الانتقادات في ظل تصاعد الوعي الدولي بالقضية الفلسطينية، وازدياد التقارير الصادرة عن منظمات دولية مثل "هيومن رايتس ووتش" و"العفو الدولية"، التي تتهم إسرائيل بارتكاب انتهاكات جسيمة تصل إلى مستوى جرائم حرب، هذا التزايد في الضغوط الخارجية أسهم في تشجيع المزيد من الأصوات الإسرائيلية الداخلية على التعبير عن رفضها للسياسات الحالية، والدعوة إلى مراجعة نقدية للذات الوطنية.

---

[1] ساجدة نوفل، البعد الديني للصراع العربي – الصهيوني الدولة اليهودية (دراسة حالة)، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2018، ص 10-85.

[2] عمرو عبد العلي علام، المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2007، ص 10-80.

[3] يحيى أبو عودة، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في إسرائيل وأثرها على التسوية السياسية، رسالة ماجستير، 2017، ص 220.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ورغم قوة هذه الانتقادات، إلا أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة غالبًا ما تتعامل معها بتجاهل أو اتهام منتقديها بالخيانة أو بتشويه صورة الدولة أمام المجتمع الدولي، فالحكومة الإسرائيلية عادة ما تبرر ممارساتها بالضرورات الأمنية والدفاع عن النفس، مع التأكيد على أن البيئة الإقليمية العدائية تفرض عليها اتخاذ إجراءات استثنائية، بل إن بعض المسؤولين يتهمون منظمات حقوق الإنسان بأنها أدوات بيد "الخصوم السياسيين" أو أنها منحازة ضد إسرائيل.

ومع ذلك، فإن استمرار وجود خطاب نقدي داخلي قوي يعكس جانبًا مهمًا من الحيوية السياسية في إسرائيل، ويشير إلى أن السردية الرسمية ليست مطلقة أو بلا معارضة، كما أن هذه الانتقادات تعزز حجج أولئك الذين يرون أن إسرائيل، رغم ادعاءاتها الأخلاقية، بحاجة إلى مراجعة سياساتها وممارساتها بشكل جذري لتكون قادرة حقًا على الالتزام بالمبادئ الديمقراطية والإنسانية التي تدعي تمثيلها.

2_تقييم العلاقة بين الفكر التوراتي والخطاب الصهيوني والسياسات الإسرائيلية

تعتبر العلاقة بين الفكر التوراتي والخطاب الصهيوني والسياسات الإسرائيلية علاقة معقدة ومتشابكة، تعكس في كثير من الأحيان التوترات بين الأيديولوجيا والممارسة السياسية، في هذا المطلب، سنقوم بتقييم العلاقة بين هذه العناصر من خلال عدة محاور أساسية: المقارنة النقدية بين التفسيرات التوراتية وخطاب التفوق الأخلاقي المعلن، تحليل وظيفة خطاب التفوق الأخلاقي في السياق الإسرائيلي، وأخيراً استنتاجات حول تأثير الفكر التوراتي على السياسات الإسرائيلية ومدى واقعية ادعاء التفوق الأخلاقي في ضوء الممارسات على الأرض.

أ: المقارنة النقدية

في بداية هذا التحليل، يصبح من الضروري تسليط الضوء على أوجه الاتساق والتناقض بين التفسيرات التوراتية التي يتم استدعاؤها لتبرير السياسات الإسرائيلية المعاصرة، وبين خطاب التفوق الأخلاقي الذي تسعى إسرائيل إلى تصديره للعالم، وكذلك الممارسات السياسية الفعلية التي تنتهجها على الأرض.

التفسير التوراتي الذي تعتمد عليه بعض التيارات الصهيونية، خاصة الصهيونية الدينية، يروج لفكرة أن "الشعب اليهودي" هو "شعب الله المختار"، وأن الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات — أو على الأقل أرض فلسطين التاريخية — هي "أرض الميعاد" التي وهبها الله لبني إسرائيل، وفقًا لهذا التأويل، يصبح لليهود حقٌ تاريخي وديني مطلق في هذه الأرض، بغض النظر عن الوجود التاريخي والجغرافي للشعوب الأخرى، وعلى رأسها الفلسطينيون، هذا التبرير التوراتي يغذي سياسات الاستيطان والتهجير القسري، ويبرر محاولات السيطرة الكاملة على الأرض الفلسطينية من خلال سردية دينية تعطي غطاءً أخلاقيًا ودينيًا لهذه الممارسات[1].

[1] أحمد الدبش، انهيار التاريخ التوراتي ملف علم الآثار وعلاقته بالسياسة والأيدولوجيا في إسرائيل، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد 73، 2019، ص 90.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

في المقابل، يسعى الخطاب الصهيوني المعاصر إلى تقديم إسرائيل كنموذج فريد للتفوق الأخلاقي والديمقراطي في منطقة الشرق الأوسط، التي تُصور غالبًا على أنها منطقة مضطربة تفتقر إلى الحريات والحقوق الأساسية، تروج إسرائيل لنفسها على أنها "الديمقراطية الوحيدة" في الشرق الأوسط، وتتباهى بأن جيشها، المسمى "الجيش الأكثر أخلاقية في العالم"، يلتزم بمعايير عالية في التعامل مع المدنيين، حتى أثناء النزاعات المسلحة، كما يشدد الخطاب الرسمي الإسرائيلي على أن القيم التأسيسية للدولة تقوم على الحرية، المساواة، واحترام حقوق الإنسان.

غير أن مقارنة هذه الادعاءات مع الواقع الميداني تظهر فجوة عميقة بين الخطاب والممارسة، فسياسات الاحتلال المستمرة، وتوسيع المستوطنات في الضفة الغربية والقدس الشرقية، وهدم المنازل الفلسطينية، والحصار المفروض على غزة، وقمع الحريات السياسية للفلسطينيين داخل إسرائيل، كل ذلك يتناقض بشكل صارخ مع القيم الأخلاقية والإنسانية التي يدعي الخطاب الإسرائيلي الالتزام بها، بل إن هذه الممارسات تنتهك بشكل واضح قواعد القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني، مما يضع مصداقية الخطاب الأخلاقي الإسرائيلي موضع تساؤل دائم[1].

علاوة على ذلك، يكشف استخدام النصوص التوراتية لدعم هذه السياسات عن توظيف انتقائي للفكر الديني، حيث يتم التركيز على الروايات التي تبرر السيطرة والإقصاء، بينما يتم تجاهل المبادئ الأخلاقية الأخرى في التراث الديني اليهودي، مثل العدالة والرحمة واحترام الغريب، وهذا الانتقائية تسهم في ترسيخ سياسة الأمر الواقع، مع تقديمها في عباءة دينية وأخلاقية تبدو أمام العالم وكأنها مبررة شرعيًا[2].

يمكن القول إن هذا التناقض بين التفسير الديني المتطرف والسياسات القمعية من جهة، والخطاب الدعائي الأخلاقي من جهة أخرى، يعكس أزمة هوية داخل المشروع الصهيوني ذاته، فبدلًا من تحقيق نموذج للديمقراطية والعدالة، تجد إسرائيل نفسها متورطة في ممارسات تتناقض مع القيم التي تدعي تمثيلها، هذه الأزمة تزداد حدة مع اتساع الوعي الدولي بالانتهاكات المرتكبة، ومع تصاعد الانتقادات الداخلية من قبل منظمات حقوق الإنسان الإسرائيلية، والأصوات الأكاديمية والصحفية المستقلة.

وفي المحصلة، فإن محاولة الجمع بين التفسيرات التوراتية والسياسات الاستعمارية الحديثة تحت شعار التفوق الأخلاقي يبدو غير مقنع، سواء على المستوى الأخلاقي أو القانوني، بل إن هذا التناقض البنيوي قد يهدد في المستقبل شرعية المشروع الصهيوني نفسه في عيون المجتمع الدولي، بل وفي أوساط قطاعات من المجتمع الإسرائيلي ذاته، الذي بدأ قطاع منه يشكك في إمكانية التوفيق بين مبادئ الديمقراطية الحقة والممارسات الواقعية للاحتلال والتمييز.

---

[1] عبير عبد الرحمن ثابت، مدى تأثير فكرة يهودية الدولة الإسرائيلية على مستقبل القضية الفلسطينية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 1، يونيو 2015، ص 127.

[2] محمد هزيمه، الأيدلوجية اليهودية دراسة في مسيرة الأيدلوجية اليهودية التاريخية والاعتقادية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2009، ص 20-95.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ب: تحليل وظيفة خطاب التفوق الأخلاقي

عند تحليل وظيفة خطاب التفوق الأخلاقي في السياق الإسرائيلي، نجد أنه لا يمكن اختزاله ببساطة إلى مجرد شعار دعائي، بل هو مركب يتداخل فيه البعد الأيديولوجي مع البعد النفعي، ويعكس في الوقت نفسه قناعات حقيقية لدى قطاع معتبر من المجتمع الإسرائيلي والنخب السياسية والثقافية[1].

بداية، لا شك أن الخطاب الصهيوني المعاصر حول التفوق الأخلاقي يؤدي وظيفة سياسية حيوية في تبرير السياسات الإسرائيلية، سواء داخليًا أو خارجيًا، داخليًا، يسعى هذا الخطاب إلى تدعيم الهوية الوطنية الإسرائيلية، وبناء سردية متماسكة تعزز الشعور الجماعي بالحق التاريخي والأخلاقي في الوجود على الأرض الفلسطينية، وخارجيًا، يهدف هذا الخطاب إلى تحسين صورة إسرائيل أمام المجتمع الدولي، خاصة في الغرب، عبر التأكيد على أن إسرائيل ليست مجرد دولة قائمة على الاحتلال والسيطرة، بل هي كيان ديمقراطي ملتزم بحقوق الإنسان، يتصرف في إطار الدفاع عن النفس في مواجهة تهديدات "وجودية".

في هذا السياق، يصبح التفوق الأخلاقي أداة مركزية في كسب الدعم السياسي والاقتصادي، خصوصًا من الولايات المتحدة والدول الأوروبية، التي تجد في سردية إسرائيل الديمقراطية المتقدمة مبررًا لاستمرار التحالفات والدعم العسكري والاقتصادي، وهكذا، يتحول الخطاب الأخلاقي إلى درع دبلوماسي واقٍ، يخفف من حدة الانتقادات الموجهة لإسرائيل بسبب سياساتها تجاه الفلسطينيين، ويسهم في شرعنة ممارساتها أمام الرأي العام العالمي.

ومع ذلك، من الخطأ افتراض أن هذا الخطاب مجرد غطاء سياسي محض، إذ تشير دراسات اجتماعية وسوسيولوجية عديدة إلى أن قطاعًا واسعًا من المجتمع الإسرائيلي، بما في ذلك عدد كبير من الأكاديميين، ورجال الدين، والسياسيين، يؤمنون إيمانًا صادقًا بأن إسرائيل تمثل مشروعًا أخلاقيًا فريدًا في منطقة مضطربة، هذا الإيمان يرتكز على تصورات دينية وتاريخية ترى في الدولة العبرية امتدادًا لوعد إلهي، ومثالا لتحقيق العدالة لشعب تعرض للاضطهاد عبر العصور، ومن هذا المنظور، تصبح الممارسات السياسية والأمنية تجاه الفلسطينيين، رغم قسوتها الظاهرة، دفاعًا ضروريًا ومشروعًا عن هذا المشروع الأخلاقي، لا تعديًا أو ظلمًا[2].

هذا الإيمان يتعزز في ظل الخطاب الإعلامي الإسرائيلي السائد، الذي يصور الفلسطينيين كخطر أمني دائم، ويروج لفكرة أن أي تنازل عن السيطرة الإسرائيلية سيؤدي إلى تهديد وجود الدولة بأسرها، وبهذا

[1] جبر الهول، المواثيق والعهود في ممارسات اليهود – قراءة في الفكر الديني والسياسي اليهودي المعاصر، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004، ص 30-120.

[2] عودة عبد عودة، التلمود وأثره في صياغة الشخصية اليهودية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع 32، الإمارات دبي، 2006، ص 50-120.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الشكل، يُعاد إنتاج فكرة التفوق الأخلاقي كجزء من الهوية الوطنية الإسرائيلية، وليس فقط كأداة دعائية موجهة للخارج.

ومع ذلك، فإن مصداقية هذا الخطاب تواجه تحديات جدية على الأرض، فالتوسع الاستيطاني في الضفة الغربية، والحصار المستمر على غزة، وسياسات التمييز ضد الفلسطينيين داخل الخط الأخضر، إلى جانب انتهاكات حقوق الإنسان التي وثقتها تقارير منظمات دولية وإسرائيلية، كل هذه الممارسات تطرح تساؤلات حقيقية حول صدقية الادعاء بالتفوق الأخلاقي، فالمعايير الأخلاقية لا تُقاس بالشعارات، بل بالأفعال والسياسات الواقعية، وهنا يظهر التناقض الحاد بين الخطاب والممارسة.

وعليه، فإن وظيفة خطاب التفوق الأخلاقي تبدو مزدوجة: فهو من جهة يعبر عن قناعة راسخة لدى جزء من المجتمع الإسرائيلي بفرادة مشروعهم الوطني والأخلاقي، ومن جهة أخرى يعمل كأداة أيديولوجية لتبرير سياسات الدولة التي تتناقض أحيانًا مع القيم التي يرفعها هذا الخطاب، إن هذه الازدواجية تضع المشروع الصهيوني أمام معضلة أخلاقية حقيقية: فكلما زادت الفجوة بين الخطاب والممارسة، زادت صعوبة الحفاظ على صورة إسرائيل كدولة أخلاقية أمام المجتمع الدولي وأمام بعض قطاعات المجتمع الإسرائيلي ذاته.

في المحصلة، يبقى التفوق الأخلاقي خطابًا حيويًا في تماسك الهوية الإسرائيلية وتعزيز شرعية الدولة، لكنه في ذات الوقت يواجه خطر التآكل مع استمرار السياسات التي تتناقض مع المبادئ الإنسانية العالمية.

ج: استنتاجات حول تأثير الفكر التوراتي على السياسات

من خلال التحليل السابق، يتضح أن الفكر التوراتي، خصوصًا التفسيرات التي تبنتها الحركة الصهيونية، لعب دورًا محوريًا في صياغة الملامح الأساسية للسياسات الإسرائيلية المعاصرة، هذه التفسيرات التوراتية، التي تؤكد على فكرة "أرض الميعاد" كحق إلهي حصري للشعب اليهودي، لم تبقَ مجرد أطروحات دينية أو ثقافية، بل تحولت إلى أداة سياسية وأيديولوجية لتبرير السيطرة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية، وقد أصبحت هذه الرؤية تشكل الإطار المرجعي الذي تتحرك ضمنه السياسات الإسرائيلية، خاصة فيما يتعلق بالاستيطان والضم والحروب المتكررة ضد الفلسطينيين والدول العربية المجاورة.

إن العلاقة بين الفكر التوراتي والسياسات الإسرائيلية تتجلى بوضوح في المشروعات الاستيطانية، التي غالبًا ما يتم تبريرها بالعودة إلى النصوص الدينية التي تعد الأرض وعدًا إلهيًا لا يجوز التنازل عنه، وعليه، فإن سياسة بناء المستوطنات في الضفة الغربية، واعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، يعكسان هذه الرؤية التوراتية التي تدمج الدين بالقومية وبالسياسة الخارجية والداخلية معًا[1].

[1] مصطفى مهند، تحولات الخطاب الصهيوني حول المسجد الأقصى، مجلة مجدل، العدد 33، أيلول/سبتمبر 2018، ص 20-75.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ومع ذلك، لا يمكن فهم تأثير الفكر التوراتي بمعزل عن السياق السياسي والاجتماعي الأوسع في إسرائيل، فالإيديولوجية الدينية لا تعمل وحدها، بل تتداخل مع اعتبارات الأمن القومي والديناميات السكانية والضغوط الدولية، وهذا التداخل يجعل من الفكر التوراتي ليس مجرد مصدر إلهام ديني، بل عنصرًا حيويًا في تبرير وإضفاء الشرعية على السياسات الإسرائيلية التي قد تكون في جوهرها ذات طبيعة استعمارية وإقصائية.

في هذا الإطار، يتم توظيف الخطاب الصهيوني حول "التفوق الأخلاقي" كوسيلة لإخفاء أو تخفيف حدة التناقض بين الممارسات الإسرائيلية والادعاءات الأخلاقية التي يتم تصديرها إلى العالم، ففي الوقت الذي تصف فيه إسرائيل نفسها بأنها "الديمقراطية الوحيدة" في الشرق الأوسط، وترفع شعار احترام حقوق الإنسان والقانون الدولي، تكشف الوقائع الميدانية عن ممارسات متكررة لانتهاك حقوق الفلسطينيين، مثل مصادرة الأراضي، وهدم المنازل، وفرض الحصار على غزة، والاستخدام المفرط للقوة ضد المدنيين.

وهذا التناقض بين الخطاب والممارسة يسلط الضوء على وظيفة الفكر التوراتي كأداة أيديولوجية وليس كحقيقة دينية خالصة، فبدلاً من أن يكون الخطاب الديني دعوة للسلام والعدالة، يُعاد تأويله بما يخدم مصالح الهيمنة السياسية والعسكرية، وبهذا، يصبح الفكر التوراتي غطاءً يضفي مشروعية دينية على مشاريع السيطرة والضم، مما يجعل مقاومة السياسات الإسرائيلية أكثر تعقيدًا على المستوى الدولي، خاصة عندما يتم ربط السياسات بالدين والهويات المقدسة[1].

وعليه، يمكن الاستنتاج بأن الفكر التوراتي، بتفسيراته الصهيونية، لا يمثل فقط خلفية ثقافية للسياسات الإسرائيلية، بل يعد محركًا ديناميكيًا لها، يبرر الاستراتيجيات التوسعية ويعطيها بعدًا أخلاقيًا زائفًا، ومع أن هناك قطاعات من المجتمع الإسرائيلي، خاصة بين العلمانيين، تنتقد هذا الاستخدام السياسي للدين، فإن التيار السائد لا يزال يعتمد بشكل كبير على هذا الدمج بين الدين والقومية، لا سيما في ظل تصاعد نفوذ الأحزاب الدينية والقومية المتطرفة في الحياة السياسية الإسرائيلية.

وبذلك، يتبين أن العلاقة بين الفكر التوراتي والخطاب الصهيوني والسياسات الإسرائيلية ليست علاقة بسيطة أو أحادية، إنها علاقة تتداخل فيها الأيديولوجيا السياسية مع الممارسات العملية على الأرض، ما يجعل من الصعب التوفيق بين الادعاءات الأخلاقية والخطاب الرسمي من جهة، والسياسات والممارسات الفعلية من جهة أخرى.

[1] دعاء الشريف، التوراة تثبت أن فلسطين أرض عربية، ترجمة لوثيقة زئيف هرتسوغ، الحقيقة من الأرض المقدسة، دار أبعاد، بيروت، 2016، ص100.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الخاتمة

من خلال دراسة مفهوم "التفوق الأخلاقي" في الخطاب الصهيوني المعاصر، وتسليط الضوء على جذوره التوراتية وتجلياته المختلفة، تبين أن هذا المفهوم يمثل جزءًا أساسيًا من الأيديولوجيا الصهيونية التي تروج لإسرائيل كدولة تمتلك ممارسات أخلاقية استثنائية في منطقة مضطربة من العالم، وقد أظهر البحث كيف يستخدم الخطاب الصهيوني هذا المفهوم لتبرير السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين والعديد من الدول العربية، مع إدعاء التزام إسرائيل بالمعايير الديمقراطية وحقوق الإنسان، لكن، تبين أيضًا وجود تناقضات كبيرة بين هذا الخطاب والممارسات الفعلية على الأرض، مما يعكس التوتر المستمر بين الأيديولوجيا والسياسة الفعلية.

أولاً: تلخيص لأهم النتائج التي توصل إليها البحث

1. **مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني:**

- يظهر الخطاب الصهيوني، سواء كان دينيًا أو علمانيًا، إسرائيل كدولة أخلاقية متفوقة في الشرق الأوسط، مقارنة بالأنظمة العربية التي يتم تصويرها على أنها غير ديمقراطية، يُستند إلى فكرة "الشعب المختار" في الكتابات التوراتية لتبرير سياسات الاستيطان، وحروب إسرائيل، وتوسعها في المنطقة.
- يدعي الخطاب الصهيوني أن إسرائيل تتسم بالاستثنائية الأخلاقية، حيث يُصوّر جيش الدفاع الإسرائيلي على أنه "الأكثر أخلاقية في العالم"، وتُوصف الدولة بأنها "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط".

2. **جذور التفوق الأخلاقي في الفكر التوراتي:**

- يرتبط مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني مباشرةً بفكرة "الشعب المختار" الواردة في التوراة، حيث يعتقد اليهود أن الله اختارهم للعيش في "أرض الميعاد" وأنهم يمتلكون حقًا تاريخيًا وأخلاقيًا في هذه الأرض.
- تشكل هذه التفسيرات التوراتية قاعدة أيديولوجية لتبرير السياسات الاستيطانية والعسكرية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

3. **تجليات التفوق الأخلاقي في السياسات الإسرائيلية:**

- تظهر تجليات هذا المفهوم في السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، بما في ذلك الاستيطان في الأراضي المحتلة، قوانين التمييز مثل "قانون القومية"، والتعامل القاسي مع الفلسطينيين، بما في ذلك هدم المنازل، الحصار، وممارسات القتل الجماعي.
- هذا المفهوم يبرر أيضًا سياسة الدفاع الإسرائيلي، حيث يُنظَر إلى السياسات العسكرية والأمنية على أنها ضرورية لحماية إسرائيل من التهديدات الخارجية، مع الاستناد إلى المبدأ الأخلاقي المزعوم بأن "الجيش هو جيش الرب".

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

4. **تناقضات بين الخطاب الصهيوني والممارسات الفعلية:**

- بالرغم من ادعاء التفوق الأخلاقي، تظهر السياسات الإسرائيلية العديد من التناقضات مع القيم الأخلاقية التي يُفترض أن تعكسها، سياسات الاحتلال، القمع، والممارسات العنصرية ضد الفلسطينيين تتناقض بشكل واضح مع ادعاءات الأخلاق العالية في الخطاب الصهيوني.
- خاصة في سياق التطبيق العملي لحقوق الإنسان والقانون الدولي، حيث يتعرض الفلسطينيون في الضفة الغربية وغزة لانتهاكات مستمرة لحقوقهم الأساسية من قبل الدولة الإسرائيلية.

ثانيًا: الإجابة على تساؤلات البحث الرئيسية

1. **هل يتماشى مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني مع السياسات الإسرائيلية الفعلية؟**

- لا يتماشى مفهوم التفوق الأخلاقي في الخطاب الصهيوني مع السياسات الإسرائيلية الفعلية، على الرغم من ادعاء إسرائيل أنها دولة ديمقراطية وأخلاقية، فإن السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين تتسم بالتمييز، قمع الحقوق، وانتهاك حقوق الإنسان، تتناقض هذه السياسات مع مفهوم التفوق الأخلاقي الذي يُفترض أن يميز إسرائيل عن باقي دول المنطقة.

2. **هل يُعد الفكر التوراتي أساسًا للتفوق الأخلاقي المزعوم في الخطاب الصهيوني؟**

- نعم، يعد الفكر التوراتي الأساس الأيديولوجي للعديد من الممارسات الصهيونية، التفسير الصهيوني للتوراة، الذي يروج لفكرة "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، يُستخدم لتبرير السياسات الاستيطانية والعسكرية تجاه الفلسطينيين ولبناء هوية إسرائيل كدولة تمتلك حقًا أخلاقيًا في السيطرة على الأراضي الفلسطينية.

3. **كيف يمكن تفسير التناقضات بين الخطاب الصهيوني والممارسات الفعلية؟**

- التناقضات بين الخطاب الصهيوني والممارسات الفعلية يمكن تفسيرها من خلال استخدام الخطاب كأداة أيديولوجية لتبرير السياسات العسكرية والاستعمارية، حيث يتم تقديم إسرائيل على أنها دولة أخلاقية بغرض كسب التأييد الدولي، أما الممارسات الفعلية، فهي في كثير من الأحيان تُظهر صراعًا بين الأيديولوجيا السياسية والواقعية.

ثالثًا: مناقشة الآثار المترتبة على تبني هذا الخطاب

1. **على المجتمع الإسرائيلي:**

- تبني هذا الخطاب يؤثر بشكل كبير على الوعي الجماعي للمجتمع الإسرائيلي، حيث يعزز من الاعتقاد بأن إسرائيل تمثل نموذجًا استثنائيًا في المنطقة، مما قد يساهم في استمرار التبرير للسياسات الإسرائيلية القمعية.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

- يُساعد الخطاب على تشكيل الهوية الوطنية الإسرائيلية حول مفهوم "التفوق الأخلاقي"، مما يزيد من التحديات التي يواجهها المجتمع الإسرائيلي في التعامل مع القضايا الإنسانية المتعلقة بالصراع الفلسطيني.

2. **على عملية السلام:**

- يعد هذا الخطاب حجر عثرة أمام عملية السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، استناد إسرائيل إلى التفوق الأخلاقي كتبرير لسياساتها، يعرقل أي إمكانية للتسوية السلمية، ويزيد من التوترات مع الفلسطينيين والدول العربية.
- كما أن الإصرار على سياسات التفوق الأخلاقي يعزز من عدم الثقة بين الأطراف، مما يصعب الوصول إلى حلول جذرية وعادلة للصراع.

3. **على العلاقات الدولية:**

- يستخدم هذا الخطاب في العلاقات الدولية لجذب الدعم الدولي لإسرائيل، وخاصة من الدول الغربية، ومع ذلك، فإنه يعرض إسرائيل لانتقادات متزايدة من قبل المنظمات الحقوقية والمجتمع الدولي، خاصة عندما تُظهر الممارسات الإسرائيلية تناقضًا مع ادعاءاتها الأخلاقية.
- الخطاب يعزز من العزلة الدولية لإسرائيل في بعض الأحيان، مما يفاقم من تداعياته السلبية على سمعة الدولة في الساحة الدولية.

رابعًا: توصيات ببحوث مستقبلية

1. **تأثير الخطاب على الشباب الإسرائيلي:**

- من المهم دراسة كيفية تأثير الخطاب الصهيوني حول التفوق الأخلاقي على الشباب الإسرائيلي، وكيفية تشكيل هذا الخطاب لوجهات نظرهم حول الفلسطينيين والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، قد تكون هذه الدراسات مفيدة لفهم كيفية تأثير الأيديولوجيا على الأجيال الجديدة في إسرائيل وكيف يمكن أن يُعاد تشكيل الهوية الوطنية الإسرائيلية.

2. **مقارنة مع خطابات استثنائية أخرى في العالم:**

- يمكن إجراء بحوث مقارنة حول خطابات التفوق الأخلاقي في سياقات أخرى، مثل التفسير المسيحي أو الإسلامي لهذا المفهوم، أو مقارنته مع خطابات أخرى مثل القومية الأوروبية أو الأمريكية، دراسة هذه الخطابات يمكن أن تُسلط الضوء على أوجه التشابه والاختلاف في كيفية استخدام مفهوم الاستثنائية الأخلاقية لتبرير السياسات الاستعمارية والعسكرية.

3. **دراسة التأثيرات النفسية والاجتماعية لهذا الخطاب على المجتمع الفلسطيني:**

- يمكن دراسة كيفية تأثير الخطاب الصهيوني على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، بما في ذلك تأثيره على شعورهم بالتهديد الدائم وانعدام الأمل في الحصول على حقوقهم.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

References:

•Ibrahim Al-Daqeeq, The Palestinian-Israeli Conflict: A Critical Review and Future Vision, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2013.
•Ahmad Al-Dabash, The Collapse of Biblical History: The Archaeological File and Its Relationship to Politics and Ideology in Israel, Israeli Issues Magazine, Issue 73, 2019.
•Ahmad Raafat Ghudayya, Israeli Measures to Judaize Jerusalem and Decide Its Fate, Researches Research Journal, Third Edition, Spring 2005.
•Ahmad Raafat Ghudayya, Israeli Measures to Judaize Jerusalem and Decide Its Fate, Researches Research Journal, Third Edition, Spring 2005. • Ahmed Othman, The Myth of Jewish Rights in Palestine: A Critical Reading of the Justifications for the Existence of the State of Israel, Journal of Humanities, Issue 23, Summer 2014.
•Ahmed Lutfi Abdel Salam, American Bias toward Israel: Its Historical, Social, and Political Motives, Cairo, Al-Nafeza Library, 2005.
•Ismail Raji Al-Faruqi, Zionist Origins in the Jewish Religion, Wahba Library, Cairo, 2nd ed., 1988.
•Theodor Herzl, The Jewish State, translated by Mahmoud Youssef Adas, Dar Al-Zahraa Publishing House, Cairo, 1994.
•Jabr Al-Houl, Covenants and Pacts in Jewish Practices - A Reading of Contemporary Jewish Religious and Political Thought, Beirut, University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution, 2004.
•Habib Kahwaji, Israeli Parties and Political Movements in the Zionist Entity, Al-Ard Foundation for Palestine Studies. • Duaa Al-Sharif, The Torah Proves That Palestine Is an Arab Land, a translation of Ze'ev Herzog's document, The Truth from the Holy Land, Abaad Publishing House, Beirut, 2016.
•Duaa Al-Sharif, The Torah Proves That Palestine Is an Arab Land, a translation of Ze'ev Herzog's document, The Truth from the Holy Land, Abaad Publishing House, Beirut, 2016.
•Rajaa Jaroudi, The Founding Myths of Israeli Policy, Dar Al-Ghad Al-Arabi, Cairo, 1996.
•Rashad Al-Shami, Religious Symbols in Judaism, Center for Oriental Studies, Cairo University, Religious Studies Series, Issue 11, 2000.
•Rayan Al-Abbasi, Israeli Ambitions for the Waters of the Euphrates, Journal of Regional Studies, Center for Regional Studies, University of Mosul, Issue 36, 2009.
•Sajida Nofal, The Religious Dimension of the Arab-Zionist Conflict: The Jewish State (A Case Study), Master's Thesis, Middle East University, 2018.
•Al-Sayed Yassin, Anatomy of the Israeli Mind, 1st ed., Cairo, Merit Publishing and Information 2000.
•Shadi Adnan Al-Shadifat, Legal Considerations on the Status of Jerusalem in International Law, Chaos of the Past and Present, Journal of Sharia and Law Studies, University of Jordan, Volume 44, Supplement 1, 2017.
•Saleh Al-Raqab, Jews Have No Religious Right to Palestine, Journal of the Islamic University, Volume 6, Issue 1, January 1998.
•Adel Muhammad Al-Adayleh, Jerusalem: The Gateway to Peace in the Middle East, Amman, Dar Al-Shorouk, 2006.
•Abdul Raouf Arnaout, Israel in East Jerusalem: From Geographical Determination to Demographic Determination, Journal of Palestine Studies, Volume 27, Issue 105, Winter 2016.
•Abdel Wahab Al-Messiri, Jewish Homogeneity and the Jewish Personality, Cairo, 2003.
•Abdel Wahab Al-Messiri, The History of Zionist Thought: Its Roots, Course, and Crisis, Dar Al-Shorouk, Cairo, First Edition, 2010.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

•Abeer Abdel Rahman Thabet, The Extent of the Influence of the Idea of the Jewishness of the Israeli State On the Future of the Palestinian Cause, University of Sharjah Journal of Humanities and Social Sciences, Volume 12, Issue 1, June 2015.
•Adnan Ayyash, Refuting Jewish Claims of Right to the Land of Palestine, Palestine: Right and Cause, Thirteenth International Conference, Tripoli, December 2-3, 2016.
•Azmi Bishara, The Spiral of Religion in Israel, Journal of Palestine Studies, Volume 1, Issue 3, Summer 1990.
•Issam Kamel Mukhaimer, The Kingdom of Judah between Destruction and Exile in Light of the Biblical and Babylonian Narratives, University of Sharjah Journal of Humanities and Social Sciences, Volume 14, Issue 1, Ramadan 1438 AH/June 2017 AD.
•Alaa Ziad Al-Asmar, Jerusalem in the Books of the Torah: An Analytical and Critical Study, unpublished master's thesis, Islamic University of Gaza, 2018.
•Omar Maslah, The Promised Land in the Torah: When and Where?, Israeli Issues Magazine, Issue 26, Madar Center, Palestinian Center for Israeli Studies, 2019.
•Amr Abdel Ali Allam, Israeli Society and the Culture of Conflict, Cairo, Dar Al-Ulum for Publishing and Distribution, 2007.
•Odeh Abdel Odeh, The Talmud and Its Impact on the Formation of the Jewish Personality, Journal of the College of Islamic and Arabic Studies, Issue 32, Dubai, UAE, 2006.
•Ghazi Hussein, Jewish Settlement in Palestine: From Colonialism to Imperialism, Arab Writers Union, Damascus, 2003.
•Fawzi Saeed Al-Jadba, Israeli Settlement in East Jerusalem 1967-2009: A Study in Political Geography, Al-Aqsa University Journal, Humanities Series, Volume 15, Issue 2, 2015.
•Mohsen Saleh, The Suffering of Jerusalem And the Holy Places Under Occupation, Al-Zaytouna Center for Studies and Consultations, Beirut, 2011.
•Muhammad Barakat Al-Shar'a, The System of Religious Powers and Their Role in Political Life in Israel, Al-Manara Magazine, Al al-Bayt University, Volume 12, Issue 1, 2006.
•Muhammad Jala Idris, Jerusalem in Israeli Religious Thought, Arab Media Center, Giza, 2001.
•Muhammad Khalifa Hasan, The Internal Zionist Movement and Its Relations with the Jewish Religious Heritage, Dar Al-Maaref, Cairo, 1st ed., 1981.
•Muhammad Khalifa Hassan, An Israeli Personal Study of Israeli Society's Attitudes Toward Peace, Religious and Psychological Studies Series, 24, Cairo University, Center for Oriental Studies, 1998.
•Muhammad Shawqi Abd al-Aal, Sovereignty over Jerusalem: A Study of "Israeli" Claims in Light of the Provisions of Public International Law, Cairo, League of Arab States, July 2000.
•Muhammad Umar Muhammad Hussein, Secrets of Zionism and Freemasonry, Al-Muhammadiya Printing House, Cairo, 1st ed., 1992.
•Muhammad Hazima, Jewish Ideology: A Study of the Historical and Doctrinal Journey of Jewish Ideology, Dar al-Hamed for Publishing and Distribution, Amman, first edition, 2009.
• Mustafa Mahmoud, Israel... The Beginning And the End, Today's Book, Dar Akhbar Al-Youm, Cairo, undated.
•Mustafa Muhand, Transformations in the Zionist Discourse on Al-Aqsa Mosque, Majdal Magazine, Issue 33, September 2018.
•Mansour Abdel Wahab, The Public Education System in Israel: Reality and Future, in: Ibrahim Bahreini et al., Israel's Strategy 2028 - An Analytical Study, Cairo, Zagazig University, Center for Israeli Studies, 2012.
• Moti Golan, Jerusalem in the Eyes of Zionism / Zionist Policy Towards the Jerusalem Question, translated by Jawad Suleiman Al-Ja'bari, Gaza, Palestinian Ministry of Information, 1996.

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/